الرقطة

مجلّةٌ فصليّةٌ ثقافيّةٌ عامّةٌ تُعنى بالتُراثِ البصريّ، تَصدُرُ عن العَتبةِ العبّاسيّة المُقدَّسةِ قِسمِ شُؤونِ المعارفِ الإسلاميّةِ والإنسانيّةِ – مركزِ تُراثِ البصرةِ العدد ٣٠ – السنة التاسعة– ربيع الأول ١٤٤٦هـ – تشرين الأول ٢٠٢٤م
معتمدة لدى نقابة الصحفيين العراقيين بالرقم (١٩٧٢) لسنة ٢٠٢١م

لوحة بالخط السنبلي للاستاذ وائل الرمضان

كلمة العدد

ثقافةُ الاختلافِ وأدبُ الحوارِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رَبِّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

قبل أن نطالب الآخرين بالاتّفاق معنا، لابدَّ أن نتعلَّم ثقافةَ الاختلاف، وأدبَ الحوار، وعندما تختلفُ الرؤى والأفكار، لابدَّ لنا أن نمتلك ثقافةً تُخرجنا من دائرة الصّراع وتبادلِ الاتّهام مع الآخر، وأن يكون الأساس في إيصال آرائنا للآخرين هو طريق الحوار الموضوعيّ الهادئ، الذي يمكننا أن نشرح فيه وجهات نظرنا، ونبيِّن الأسسَ والمبادئَ التي نقوم عليها، وفي ذات الوقت، نتحاور مع الآخرين؛ لمعرفه وجهات النظر لديهم ، ثُمّ التفاهم معهم.

إنَّ أساس الثقافة التي ينفرد بها الانسان يبتني على أن يكون لنا رأيٌ قد يخالف رأي الآخرين، ومع ذلك نستطيع مناقشتهم عن طريق الحوار دون أن نتخذهم أعداء، وقبل كلّ شيء، فالحوارُ يتطلّب وجودَ الآخرَ واحترامَ حقه في الدّفاع عن رأيه لا الغاءه، وأنّ فهم الآخرين والتحاور معهم لا يتحققان إلا بالابتعاد عن الأنا ، وكلَّما سما الأنسان وترفَّع عن الأنا، أوجد في ذاته مكاناً أرحبَ للآخرين، واستطاع بذلك استيعابهم.

الاختلافُ لا يُلغي الوحدةَ الإنسانَّية للبشر، ولا يُشترط في الوحدة أن تقوم على التطابق والتماثل، بل إنّ الاختلاف آية من آيات روعةِ الخلق، ومظهرٌ من مظاهر إبداع الخالق؛ فالاختلاف – مهما كان مصدره – لا يشكّل قاعدة للأفضلية يدفع البعضَ للتفاخر والتعالي على الآخرين؛ فهو اختلاف في إطار الإنسانيّة يحتّم علينا احترامَ الانسان على الصورة التي خلقه الله عليها؛ فاحترام آراء الآخرين وعقائدهم هو احترامٌ لحرّيّة الاختيار .

ومع أنَّ حقَّ الاختلاف حقٌّ للجميع، فإنّ ذلك لابّد أن لا يكون على حساب المساس بمعتقدات الآخرين، فالحرّيّة لا تكون مطلقةً، وحقُّ الاختلاف لا يكون مطلقاً، بل هما مقَّيدان بضوابط عدم التجاوز على حقوق الآخرين فهي حرّيّة مسؤولة محرِّرة للإنسان من عبوديّة الانسان الآخر.

ولكي نؤسّسَ لثقافة الاختلاف الإيجابيِّ ونرفضَ ثقافةَ المخالفة، علينا اتّباعُ مبدأ الحوار المنطقيِّ والموضوعيِّ، وتأكيداً لهذا المنهج، فإن اللهَ تعالى ينهى المؤمنين عن اتّباع أساليب السّفهاء ومجاراتهم في السبِّ والتسفيه لمعتقدات الآخرين وأفكارهم، ويأمر بالحوار، الذي لابد أن يمتلك أطرافُه حرّية الحركة الفكريّة، التي ترافقهُا ثقةُ الفرد بنفسه؛ حتّى يكون النقاشُ مثمراً يقومُ على أسسٍ صحيحة وموضوعيّة، ولابد أن تكون أجواءُ الحوار هادئةً بعيدةً عن التشنُّجات الكلاميّةِ التي تُبعدُ الانسانَ عن الوقوف مع نفسه وقفةَ تأملٍ وتفكير؛ فحالات الغضب تُبعد الانسانَ عن استقلاله الفكريِّ لا شعورياً.

• رئيس التحرير

أقرأ في هذا العدد...

٩ مركزُ تُراث البصرة يعقد اجتماعَه الدوريّ لهيأة تحرير مجلّة (تراث البصرة) المحكّمة

٢٠ مديرُ مركز تراث الحلّة يزورُ مركز تراث البصرة

٢٢ مركزُ تراث البصرة يشارك في أسبوع الإمامة السنوي الثاني

٢٥ عَبَقُ الماضي وأصالته في متحف مرتضى كامل للتراث

٣٤ منهجيّةُ التوفيق في فكر إخوان الصفا

٤١ الطبيب الجرّاح الدكتور محمد الجوهر في ضيافة (الخطوة)

٤٨ عبدُ الله بن المقفَّع (الرجل .. الأسلوب)

٧٦ قرية الجيبوت ووصولات تسديد المستحقّات الماليّة في العهد العثماني

٨٦ اليوخان.. وتجارة التمور في البصرة

٨٨ قراءة في كتاب : تحفة ذخائر كنوز الأخيار في بيان ما لعلَّه يحتاج إلى التوضيح من الأخبار

مجلّةٌ فصليّةٌ ثقافيّةٌ عامّةٌ تُعنى بالتُراث البصريّ، تَصدُرُ عن العَتبةِ العبّاسيّة المقدَّسة - قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة - مركزِ تُراثِ البصرة. العَدد (٣٠) -السَنة التاسعة -ربيع الأول ١٤٤٦هـ - تشرين الأول ٢٠٢٤م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (٢٠٨٧) لسنة ٢٠١٥م

رقم الاعتماد لدى نقابة الصحفيين العراقيين

بالرقم (١٩٧٢) لسنة ٢٠٢١م

المشاركون في هذا العدد

الشيخ الدكتور محمود العيداني- الشيخ علي الغزي - الاستاذ الدكتور جواد كاظم النصرالله-الاستاذ المرحوم محمد صالح عبد الرضا- د. مشتاق عيدان اعبيد - د . اشرف عبد الحسين - الشاعرة حميدة العسكري - رؤى الجبوري - محمد البصري - فاطمة المرهون

الإشراف العـــام
الشّيخ عمّار الهلالي

رئيـس التحريـــر
ياسين يوسف اليوسف

مدير التحريـــر
الدكتور عامر السعد

سكرتير التحريـــر
محمّد ثائر الزيدي

هيأة التحريـــــر
الشيخ مُدرِك الحسّون - عادل علي عبيد
عبد العزيز مسلم.

الإشراف اللغـــوي
لجنة الإشراف اللغويّ في المركز

التصوير
أحمد عبد العبّاس -أمير جاسم العاشور

التصـميم والإخراج الفني
قاسم عبد جبر الصخراوي

عناوين المجلة
العراق- البصرة- البراضعيّة - شارع سيّد أمين
٠٧٧٢٢١٣٧٧٣٣ - ٠٧٨٠٠٨١٦٥٧٩
basrah@alkafeel.net
ص.ب/ ٣٢٣

الموقع الإلكتروني
mk.iq

رئيسُ قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة يلتقي الهيأةَ التحضيريَّةَ لمؤتَمر تراث البصرة الدوليّ الأوّل

التقى سماحةُ الشيخ عمار الهلالي، رئيس قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والانسانيّة في العتبة العباسيّة المقدّسة، أعضاء الهيأة التحضيريّة لمؤتمر تُراث البصرة الدوليّ الأوّل، ونقل سماحتهُ تحايا ودعوات سماحة المتولّي الشرعيّ للعتبة العبّاسيّة المقدّسة، سماحةِ السيّد أحمد الصافيّ (أعزَّه الله)، مؤكّدا أنَّ سماحتَه يتابعُ الخُطُوات التي تضطلعُ بها الهيأةُ، أملاً بأن نجعل من هذا الحدث التاريخيّ التراثيّ الكبير واحدا من المنجزات الفكريّة التي تليق بحاضر هذه المحافظة المعطاء وماضيها.

وتطرّق سماحةُ الشيخ الهلاليّ إلى أبرز الأمور التي تترتب على التحضيرات الأوّليّة لإقامة هذا الحدث التراثيّ الكبير، مؤكّدا ضرورة أن تعمل الجهاتُ واللجانُ المكلَّفةُ بحسم أمورها، والعمل جهدَ الإمكان على الاتّصال بالشخصيّات العلمائيّة والعلميّة والمؤسّسات الحوزويّة الدينيّة، والجامعات والجهات الأكاديميّة، والمؤسَّسات والمنظّمات الفكريّة، وتشخيص العناوين التي تحمل ذات التوجّه والتخصّص الذي ينضوي ضمن خطّة المؤتمر وبرنامجه وأهدافه، وعلى المستويات والصعد كافّة، لاسيّما المحلّيّة

والعربيّة والاقليميّة ، معزِّزا قولَه بـأدوار وأنشطة الحملات الإعلاميّة ، والفعّاليّات النشريّة ، وتعبئة جهودها للتبشير والتثقيف بهذا المؤتمر ، من خلال القنوات والمنصّات والصحف والمجلّات وغيرها .

وأكّد سماحتهُ أنّ العتبةَ العباسيّة المقدّسةَ أصرَّت على أن يكون هذا المؤتمر بصريّاً ، وعلى أرض البصرة ، ليحقّقَ أهدافَه الحقيقيّة، ويعكسَ الأدوار المشرقةَ لهذه المدينة المنتجة ، من خلال تاريخها ورجالاتها ومنجزها الفكريّ والابداعيّ المعروف ، منوّهاً بأنّ سلسلةً من الندوات واللقاءات التمهيديّة ستعقدها اللجنة التحضيريّة في الجامعات والمؤسّسات والأماكن التي يستهدفها المؤتمر، فضلاً عن الاتّصال بهذه الجامعات والمؤسّسات ، وتوجيه الدعوات إلى علمائها وفقهائها ، مشيرا إلى تجربةِ العتبةِ مع أعمال ونتائج مؤتمر أسبوع كربلاء الدوليِّ ، الذي استَقبلَ أكثرَ من مائتي بحث ، وعلى ضوئه تمّ إزاحةُ الستار عن عشرين مجلّدا ، وهو الأمر الذي يشجعنا على القول بأن تراث البصرة الهائل وتاريخها الغزير يجعلنا مطمئنين إلى كمّيّة البحوث التي ستستقبلها لجان المؤتمر -إن شاء الله- بما يليق وسمعة هذه المدينة المِعطاء .

ثم استقبل ـ حفظه الله ـ العديد من التعقيبات والآراء ووجهات النظر، التي قدّمها الأساتذةُ المجتمعون ، التي ناقشت عدداً من الموضوعات ذات العلاقة مثل : الموعد المحدّد للمؤتمر ، ضرورة تمتّع البحوث والدراسات بالرصانة المعتمدة وكلّ ما له علاقة بمتطلبات ومقوّمات البحث العلمي ؛ وصولا لما يتناسب وهذه المؤتمرات الاستثنائيّة ، وضرورة إلزام الباحثينَ بمدّة كتابة البحوث وتسليمها الى الجهة المعنية ، محدّدة العدد الاجماليَّ المقترح لهذه البحوث، التي سيغلب نوعُها وجودتُها على كمِّها ، فضلا عن أنَّ هذه البحوث ستكون مادّةً لمجلّاتنا وإصداراتنا لاسيّما

المحكّمة منها ؛ بعد أن حقّقت مجلاتُنا المحكّمة ـ ولله الحمد ـ مكانتَها بشهادة اشادة الباحثين والمختصّين ، والأمر كلُّ الأمر يعود الى رصانتها وطبيعة وجدّيّة البحوث التي تنشرها .

ثمّ نوه سماحته بطريقة استكتاب الباحثين ، واختيار الكَتّاب المعتمَدين ممّن يتمتّعون بالأثر والثقل العلميّ والموضوعيّ.

وقد تمخض اللقاء عن نقاط واشارات كثيرة لعلّ من أبرزها :

١. تأجيل إقامة المؤتمر إلى العام ٢٠٢٦م.

٢. تقسيم الهيأة الاستشاريّة والتحريريّة إلى لجان معنيّة بتوجّهات المؤتمر وهويّته.

٣. إطلاق مسابقة تأليف الكتاب الخاصّة بالتراث البصريّ.

٤. تكريم الشخصيّات التراثيّة ذات النتاج العلميّ والمنجز المعرفيّ في البصرة؛ وفقَ مطالعة تعدّها اللجنة المكلّفة بهذا الأمر وتقديم أسماء الشخصيّات المرشّحة .

٥. تشخيص إدارة المركز المخطوطات المرشّحة للتحقيق.

٦. تقديم جدولٍ لتنظيم عقد الندوات والزيارات الخاصّة بالجامعات والمؤسّسات، و تشخيص العناوين التراثيّة، فضلا عن عقد الندوات واللقاءات التعريفيّة التي تشير إلى هوية وأهداف المؤتمر .

مركزُ تُراث البصرة يعقد اجتماعَه الدوريّ
لهيأة تحرير مجلّة (تراث البصرة) المحكّمة

عقدت مجلّةُ (تراث البصرة) المحكَّمة الصادرة عن مركز تراث البصرة التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة، في العتبة العباسيّة المقدسة، اجتماعَها الدوريَّ برئاسة سماحة الشيخ مدرك الحسّون مدير المركز، وحضور السادة أعضاء الهيأة الموقّرة.

وفي بداية الاجتماع رحَّب الشيخُ الحسّونُ بالحضور، مثنياً على الجهود الحثيثة التي يبذلها السَّادة في أسرة تحرير المجلّة، معرِّجاً على أمورٍ كثيرةٍ، من أهمها: مناقشة موضوعات الأعداد القادمة، وضرورة الالتزام بالتوقيتات المتّفق عليها للأعداد الأربعة القادمة؛ من خلال خطّةِ المجلّة للعام الجاري، والتأكيد على رصيد المجلّة من الأبحاث والدِّراسات والموضوعات الأخرى، التي تقوِّم عمل المجلة، وتحقّقُ استمرارّيَتها ومواكبَتها للأحداث، التي تتناسبُ ورؤية العتبة المقدّسة، والتأكيد على نوعية الموضوعات.

وكذا أكَّد سماحتُه على الالتزام بالتوقيتات والاجتماعات الدوريّة وبواقع اجتماع واحد مطلَع كلِّ شهر، باستثناء الاجتماعات الطارئة، شاكراً جميعَ الأخوة من الباحثين الذين استجابوا للدعوة بالمشاركة في مؤتمر أسبوع الإمامة العلميّ الدّولي الثاني، الذي نظّمته العتبة العباسيّة المقدّسة.

وتحدث الأستاذُ الدكتور (عامر السعد)، رئيسُ تحرير المجلة، مشيداً بدور الباحثين والدارسين والكُتّاب، الذين يُسهمون في تحقيق هويّة ورسالة المجلّة، على ضوء منجز المجلة في عددها الأخير، بما يحقّق أدوارها العلميّة، معززًا حديثَ الشيخ الحسّون بضرورة إتحاف رصيد المجلّة بالبحوث والدِّراسات الواردة؛ من خلال الحثِّ على عمليّتَي الاستجلاب والاستكتاب، منوِّهاً بالإفادة من الندوات التي يقيمها المركزُ دوريّاً، وعدم البأس في أن تكون الندوات دراسيّةً، بما يعزِّز الرصيدَ الفكريَّ والأدبيَّ لموضوعات المجلّة، فضلاً عن أنَّ المؤتمر الدّولي المرتقب سيثري صفحات المجلَّة من خلال بحوثه ودراساته المتنوّعة، التي ستكون سنداً لهذا الرَّصيد المعرفيِّ، مع التركيز على الموضوعات الخاصّة بالمخطوطات.

وكذا أفاد الدكتور السعد أنَّ من المؤمّل إصدارَ عددٍ خاصٍّ للمجلّةِ في موضوع يخصُّ التراث البصريّ أو الأعلام والشخصيات أو المحاور التي تخصُّ التراثَ والتاريخ.

مركزُ تراث البصرة

يعقد اجتماعه التداوليّ الدوريّ

برئاسة سماحة الشيخ مدرك الحسّون، مدير مركز تراث البصرة التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العباسيّة المقدّسة ، وبحضور المنتسبين كافّة، عقد المركزُ اجتماعه التداوليَّ الدوريَّ؛ لمناقشة الأعمال والواجبات والمهامّ الملقاة على وحدات المركز ضمن خطّته للربع الأوّل من العام الجاري.

في بداية الاجتماع رحَّب سماحةُ الشيخ الحسّون بالحضور ، داعيا الله القدير جلَّ وعلا أن يوفّق الجميع لما فيه الخير والسداد.

وتطرَّق سماحته إلى ضرورة العمل الجماعيّ الواحد ، وتحقيق الأصرة والوحدة، التي نعتبرها واحدة من أهمّ مقوِّمات العمل والإنتاج الناجح ، حاثًّا الجميع على العمل بالوصايا والأعمال التي حثَّ عليها الدِّين الحنيف ، بما يؤكّد ضرورة أن تكون المشارطةُ والمراقبةُ والمحاسبةُ من أهمّ الأمور التي ينتهجها الفرد ليحقّقَ وجوده الفعليَّ أمام نفسه وخالقه، قائلا : إنّنا هنا نؤكّد كلَّ التأكيد موضوعة محاسبة النفس ، التي بودّنا أن تكون جزءاً من أهمّ أعمالنا وتوجّهاتنا الجادّة ، بل لابدّ أن تصبح من أساسيّات ومقوّمات مناهج العمل التي ينتهجها أيّ فرد منكم ، لأنَّها لو تصل إلى رضا النفس ورضا الله القدير ، وباستحصال هذا الرضا تتحقّق النتائجُ التي ستكون _إن شاء الله_ مؤشّراً على رجاحة ونجاح العمل ، ودلالةً على نسبة العطاء التي نحرص عليها ونسعى إلى تحقيقها.

ثمّ استعرضَ سماحَتُهُ الواجبات والمهامَّ الملقاة على عاتق كلّ وحدة من الوحدات على ضوء التوجيهات الجديدة للمركز، مؤكّداً ضرورة تعبئة الجهود وتوحيد الهمم في ضوء الاشتراك الفعليّ والجادّ في المؤتمر البصريّ الدوليّ الأوّل، الذي من المؤمّل أن يقام تحت عنوان : (أثرُ التراثِ البصريِّ في الفكرِ الإنسانيِّ)، وبشعارِ : (تراثُ البصرةِ رافدٌ حضاريٌّ وسراجُ قيمٍ واصالةٍ)، لاسيما بعد الرؤية السديدة لسماحة المتولي الشرعي (أعزّه الله) لأن يكون في عهدة ومهمة وحضانة المركز، وتحديداً في مدينة البصرة ، مدينة الإبداع، والتأريخ، والتراث.

بعدها استمع سماحتهُ إلى برنامج ومهامّ الوحدات، وحجم استكمال الأعمال والواجبات بالنسب المئويّة ، تفضّل به السادة منتسبو الوحدات، وانصبّت المناقشات والطروحات على مشاريع وحدة الدراسات والبحوث ، ورؤية وحدة إعلام المركز في تغطية الفعاليات والأنشطة الداخليّة والخارجيّة ، وواجبات المتابعة والرصد التي تقوم بها وحدة الفهرسة ، والمهامّ الجادّة التي تضطلع بها وحدةُ تحقّيق المخطوطات ، فضلاً عن مهامّ الأرشفة والتوثيق والتدوين المكتبيّ.

وفي ختام الاجتماع دعا سماحته لأن يحفظ الجميع لما فيه الخير والسؤدّد خدمةً لتراث بصرتنا المعطاء وعراقنا العزيز .

مركزُ تُراث البصرة

يتناول جهودَ علماء جزائر البصرة في نشر حديث أهل البيت (عليهم السلام) بندوة فكريّة

على قاعة منتدى الجزائر الثقافيّ في قضاء المِدَينة، وبحضور مدير مركز تراث البصرة التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة سماحة الشيخ مدرك الحسّون، وجمهور نخبويٍّ واسع من الشخصيّات الدِّينيَّة والعلميَّة والأكاديميَّة، أقامَ المركز ندوةً بعنوان: جهود علماء جزائر البصرة (المدينة) في نشر حديث أهل البيت (عليهم السلام)، حاضرَ فيها الباحث والموثِّق الأُستاذ نِزار المنصوريّ، وقدَّمها الأستاذ ستّار عبد الصَّمد عبد الرِّضا الحِجّاج.

وفي بداية النّدوة التي استهلَّها قارئ القرآن السيِّد كاظم الشاهين، قال سماحة الشيخ مدرك الحسّون مدير المركز: إنَّ بلدة (المدينة) هي مِن المدن التاريخيّة المهمَّة والعريقة بالتاريخ العلميّ والفكريّ العريق، والتي كان لأبنائها الدور الكبير في الحوزة العلميّة، فالكثير من أبناء المدينة هم من العوائل العلميّة، والتي كانت وما زالت الوجه المشرق لمدينة البصرة بالخصوص، وللعراق بالعموم، فقد كانت في فترة من الفترات البيئة الخصبة لإعداد طلّاب العلوم الدينيّة وإيفادها إلى الحوزات العلميّة في شيراز، وقم ومشهد المقدّستين، والحلّة، وكربلاء، والنجف الأشرف، حتى كانت تُسمّى بالنجف الصُّغرى، فهي حاضرة علميّة، وهي مدينة الشُّهداء التي قدّمت كوكبة معروفة وشاخصة في مقارعة أعتى وأشرس هجمة عرفها التاريخ المعاصر، لا سيّما وهي بالأمس جادت بأرواح طليعة من الشهداء الأبرار، ونخبة من العلماء الكبار الذين اتحفوا المكتبة والدرس ومناهج العلم

بمنجزهم الفكريّ الـذي بقي يُشيرُ إلى أدوارهم المشرقة، وعطاءاتهم المتجدّدة .. وأن أحفاد هذه الصفوة لم يكتفوا بما جادت به الأنفس الطاهرة من أجدادهم الشهداء، الذين واجهوا الجيش العثمانيّ الغازيّ، بل هبّوا لنصرة ومؤازرة إخوتهم المجاهدين في معركة (الشعيبة) التاريخيّة ضدَّ الاحتلال الإنكليزيّ الغاشم في العام (١٩١٥) .

بعدها تطـرّق سماحته إلى برنامج المركز التراثيّ، والتوعويّ في مجالات مدّ الجسور مع هذه المدن والشخصيّات التي لها العلاقة بصناعة المنجز الفكريّ لمدينة البصرة، ونوّه على أنَّ التعاون الذي ترسمه العتبة العبّاسيّة المقدّسة في مسح المشاهد الفكريّة والتاريخيّة والتراثيّة يشمل عموم خريطة البصرة المبدعة، بمدنها ورجالاتها وأعلامها وشواخصها.. وأنَّ العمل قائم بإذن الله على ترجمة هذا البرنامج وتجسيده بالشكل والصورة المثلى التي تليق بواقع وتاريخ هذه المدينة المنتجة.

بعدها ألقى جناب الباحث والمؤرِّخ نِـزار المنصوريّ محاضرته التي أشـار من خلالها إلى التاريخ الجهاديّ لهذه المدينة الفاعلة، التي تُعدُّ بحقٍّ مفخرة للبصرة

والعراق، مشيراً إلى زيارة وفد المركز لمقبرة الشهداء جاء متوّجاً لنشيد وأهداف هذه الندوة التي نتمنّى أن تحقق أدوارَهـا بين شبابنا الذي نتمنّى أن يَحذوا حذو هؤلاء القادة العلماء، الذين سبّلوا طرقًا مضيئة لأجيالهم، وأنـاروا دروبـاً لا بـدّ من أن تعزّز بـأدوار الأحفاد البررة، متطرّقاً إلى شرح مفصَّلٍ لأهمّ الأعلام والشخصيّات العلمائيّة والأدبيّـة من أمثـال : الشيخ مفلح الصَّيمريّ، ونجله الشيخ حسين الصَّيمريّ، والشيخ محمَّد بن الحارث المنصوريّ، والشيخ عبد النّبيّ الجزائريّ، والمـيرزا محمّد الجـزائـريّ وغـيرهـم من الأعلام .

بعدها استقبل الأُستاذ المحاضر مجموعة من التعقيبات والمداخلات من السادة الحضور، صبّت جميعُها في المحور الأساس للندوة، مُعرِباً عن ارتياحه لهذه الإضافات والإثـراءات التي ستعزّز البحث وتنعش محاوره.

وفي ختام الندوة التي حضرها السيِّد قائم مقام القضاء، قـدَّم سماحة الشيخ الحسّـون بعضاً مـن الهـدايـا إلى بعض الشخصيَّات العلميَّة العاملة في القضاء.

ندوةٌ عن تاريخِ الطبِّ في البصرةِ

في قاعة الزهراء (عليها السلام) التابعة إلى كلّيّة الطبّ بجامعة البصرة ، وبحضور عميد هذه الكلّية، الأستاذ الدكتور مرتضى محمد صالح المسافر وعددٍ من الأساتذة المدرّسين وطلبة الكلية ، ألقى الأستاذُ الدكتورُ حسين علي المصطفى ، عضوُ هيأة تحرير مجلّة (تراث البصرة) المحكّمة ، الصادرة عن مركز تراث البصرة التابع لقسم شؤون المعارف الاسلاميّة والانسانيّة في العتبة العباسية المقدّسة، محاضرةً عن (تاريخ الطبّ في البصرة).

وقد استعرض الأستاذُ المحاضرُ لمحةً عن تاريخ مدينة البصرة ، ابتداءً من العهد العثمانيّ في العام (١٥٤٠م)، ومروراً بالحرب العالميّة الثانية في العام(١٩١٤ م) ، إلى منتصف القرن العشرين، وقد استقبل المحاضرُ عدداً من الأسئلة والتعقيبات والاستفسارات، التي أثرت المحاضرة، قدَّمها عددٌ من الأساتذة المدرّسين والطلبة، الذين أكّدوا أهميّة المحاضرة وأثرَها في فهم التاريخ الطبّي لمدينة البصرة.

يُذكر أنَّ هناك برنامجاً ثقافيّاً خاصّاً يحرص عليه مركز تراث البصرة وبقيّةُ المؤسّسات الأكاديميّة والعلميّة في المحافظة ترسيخًا لدور المركز التراثيّ ، وتأكيداً لترجمة رسالته التراثيّة والمعرفيّة ، وتجسيد حضوره ودوره المهنّي بين بقيّة المؤسّسات العلميّة.

مركزُ تراث البصرةُ
يصدِر باقةً من الكتب في التراث الفكري

كتاب

تحفةُ ذخائر كُنوز الأخيار في بيان ما لعلّه يحتاج إلى التوضيح من الأخبار

صدر عن قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة ، مركز تراث البصرة، الكتابُ الموسوم بـ (تحفةُ ذخائر كنوز الأخيار في بيان ما لعلّه يحتاج إلى التوضيح من الأخبار)، تأليف: الشيخ مهذّب الدِّين، أحمد بن عبد الرِّضا البصريّ (١٠٤٧ هـ - كان حيّاً ١٠٩٨ هـ)، تحقيق: الشيخ رافد الفتّال .

والكتابُ ـ الذي يقع في خمسة أجزاء من القطع الوزيري ـ قدّمه محقّقهُ في (٧٩) صفحة، استعرضَ من خلالها جهدهَ الجهيد ، وعملهَ المضني الأكيد ، في بيان أدوار الكمّ المعرفيّ المتراكم ، وأثره في جهود المؤلّفين والمحقّقين.

وقد شمل الكتاب موضوعات ومحاورَ وأبواباً وأخبارًا ، انصبَّت على مضامير مختلفة ، شملت مبان في الفقه ، والأصول ، والعقائد ، والتاريخ الإسلاميّ ، والأحكام الشرعيّة الأساسيّة ، والفرعيّة ، والكليّة ، والتعريف بالمسائل الفقهيّة والعباديّة ، وتعزيزها بالفوائد واللطائف والنكت، والأحاديث ومسائل الاشكالات والخلاف ، وبيان وذكر الروايات والمرويّات ، والخطب والذخائر .

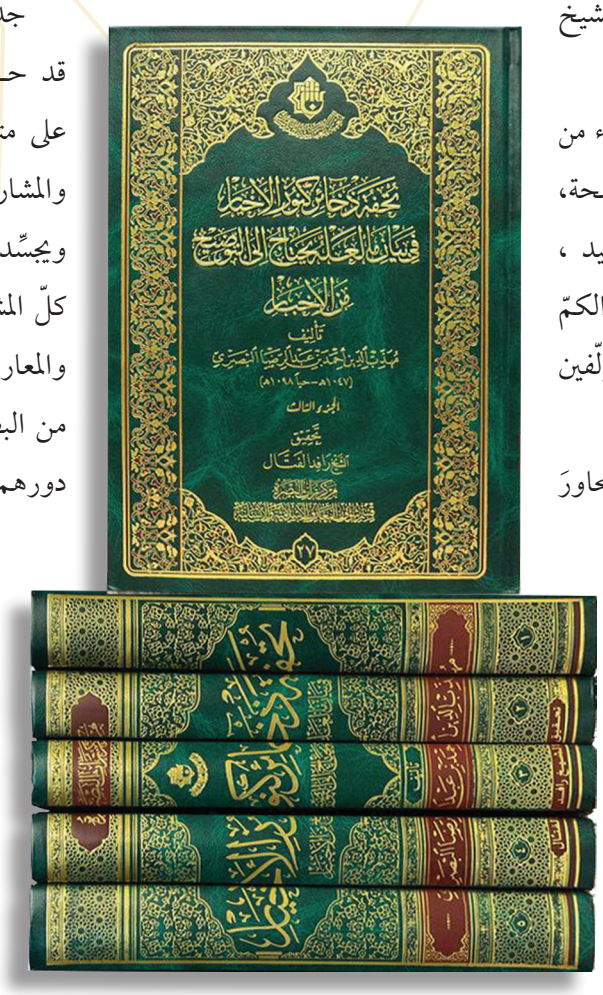

ويُعَدُّ الكتاب ـ الذي أعدَّه مركز تراث البصرة ، وطبع في مطابع دار الكفيل ـ من المطبوعات الاستثنائيّة التي تؤكّد مكانةَ الجهود الشاخصة للمؤلّف ، المعطوفة على عظمة هذا التراث العربيّ الاسلاميّ الهائل .

جدير بالذكر أنّ مركز تراث البصرة قد حرص - ضمن برنامجه الفكريّ- على متابعته ورعايته لمثل هذه المؤلّفات والمشاريع الفكريّة ، أملاً منه بأن يترجم ويجسِّد رسالته في متابعة وتقصي وحصر كلّ المشاريع التي تصبّ في دائرة العلوم والمعارف البَصْريّة ، والأسماء والرموز من البصريّين الذين طار صيتهم وجال دورهم في أصقاع المعمورة الممتد .

كتاب
الدِّلالاتُ النَّفسيّة في الآيات القرآنيّة

عن مركز تراث البصرة التابع لقسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية في العتبة العباسية المقدّسة ، ومن تأليف الدكتور (أحمد كاظم فهد البهادليّ)، صدر كتاب (الدِّلالاتُ النفسيّة في الآيات القرآنيّة)، وقد تضمَّن الكتابُ أربعة فصول في محاورِ : الصحة النفسيّة ، والمعرفة النفسيّة ، والانفعالات النفسيّة ، والقيم، والأخلاق، وضوابط السلوك البشريّ ، فضلاً عن تضمين لآراء المفسِّرين والعلماء وأصحاب الاختصاص والخبرة والدِّراية والعلم في علوم القرآن الكريم من الناحية النفسيّة ، كونَ كتاب الله العزيز كتاباً جامعاً لكلِّ المفاهيم والعلوم التي يحتاجها الانسان ، وهو الكتاب الوحيد المتكفّل بسعادة البشريّة إذا ما قرئ وطبِّق بشكلٍ صحيح .

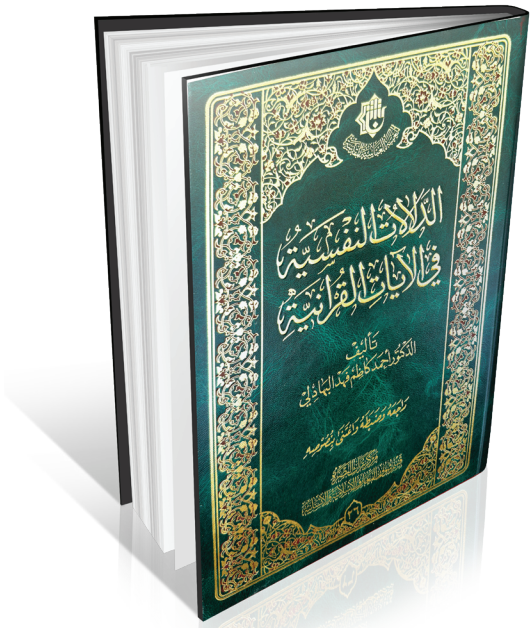

وكذا حفلت صفحاتُ الكتاب بموضوعات ومحاور مهمَّة في الصحة والمعرفة والبناء النفسيّ ، لعلّ من أهمها : الخوف، والتردّد، والقلق، والحيرة ، ودور الطبّ النفسيّ ، وحالات الخجل والحياء بالنسبة للمرأة ، ووسوسة الشيطان النفس البشرية ، وأثر الأحلام والرؤى ، والتوافق والتكيّف النفسيّ ، وأمراض الصراع والوحدة، والإحباط، والاغتراب، والانحراف، ومظاهر العدوان ، وحالات الأرق واضطراب النوم، والأمن النفسيّ، مستعرضًا قابلية الفرد على التعلم ، ودور اللغة وأثر النضج والذكاء والذاكرة في البناء النفسيّ والشخصيّ، وشرح لحالات النسيان، والحذر، والانتباه ، وطرق التفكير التي يعتمدها الفرد ، واستعراض الحالات الايجابيّة، التي تسهم بتقويم النفس، مثل : الصدق، والشجاعة، والصبر، والايثار، والحلم، والأمانة والعفو، والتواضع ، والابتعاد عن الكبر، والتكبّر، والكذب، والافتراء، والحسد، والبخل، والاسراف، والتبذير، والظلم، والنفاق ، وبيان أسباب ومسبّبات أمور كثيرة مثل : الجهل، والجبن، والانهزام النفسيّ .

ثـمّ ينتقل المؤلّـفُ إلى كشف حقائقَ ومسلّـماتِ عـددٍ من الموضوعات الايجابيّة والسلبيّة المتعلّقة بمجموعة من الأمور، مثل : التقويم والارشاد النفسيّ ، والأدب، وطيب المعاملة ، والاستعداد والإعداد النفسيّ ، والحرب النفسيّة في المنطق الإسلاميّ ، والخمر والمخدّرات والإدمان وآثارها السلبيّة على النفس والشخصيّة ، وبيان الأثر القويم للتنمية الروحيّة والعمل .. وأمور وموضوعات أخرى تصبّ في محور النفس الانسانيّة.

الكتاب _الذي راجعه وضبطه واعتنى بنصوصه مركز تراث البصرة، قسم شؤون المعارف الاسلاميّة والانسانيّة في العتبة العباسية المقدسة _ شمل (٢٨٨)صفحة من القطع الوزيريّ، وطبع بمطابع دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع.

كتاب
خلاصةُ الوَسائل في شرح المسائل

صدر عن مركز تراث البصرة التابع لقسم شؤون المعارف الاسلاميّة والانسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة كتاب : (خلاصة الوسائل في شرح المسائل)، للفقيه، المتكلّم، الشيخ محمّد بن الحارث المنصوريّ ، وهو من تحقيق سماحة الشيخ مدرك شوكان الحسّون، وقد أشار المحقّق إلى ترجمة مؤلّف الكتاب من خلال ولادته وموطنه ، معرِّفاً به ، فهو الشيخ محمد بن الحارث بن صالح ولي الله المنصوريّ الجزائريّ، أمير ربيعة، المتوفّى سنة (٨١٢ هجريّة).

الأثر المحقَّق كتابٌ شرحيٌّ لكتاب (المسائل في معرفة الأركان الخمسة الأصوليّة)، المنسوب إلى زعيم الملّة والدّين، وشيخ الطائفة، محمَّد بن الحسن الطوسيّ (قدس سره) ، فضلاً عن التعريف بعائلة الشيخ، وأولاده، وأحفاده ، وآثاره العلمية، مثل : رسالة في الاجتهاد ، والرسالة المنصوريّة ، والنبذةُ في رسائل الاجتهاد ، وكتابُ أصول الدّين، أو السيفيّة فضلاً عن ديوانه الشِّعريّ.

وقد شملت أبوابُ التحقيق موضوعات تناولت سيرةَ الشيخ المنصوريّ من ولادته، وموطنه، وحياته العلميّة ، وما قاله العلماء بحقِّه، وحياته الاجتماعيّة، والسياسيّة ، انتهاءً بوفاته .

وقدَّم المحقق في مقدّمة تحقيقه عرضاً لخلاصة ما تيسَّر من رسالة الكتاب وقواعده ، وما طوى من مكنونِ فرائدِه ، مستعرضاً أصول التوحيد والعدل والنبوة، مع بيان لفهرس الآيات القرآنيّة والأحاديث الشريفة ، وفهرس أسماء الأئمّة الأطهار (عليهم السلام)، وفهرس الأعلام والكتب والفرق والمذاهب ، معززةً بالأبيات والشواهد الشعريّة.

يقع الكتاب المحقَّق في (١٧٢)صفحة من القطع الوزيريّ ، والكتاب _الذي راجعه وضبطه مركز تراث البصرة_ أشرفت على طباعته دارُ الكفيل للطباعة والنشر.

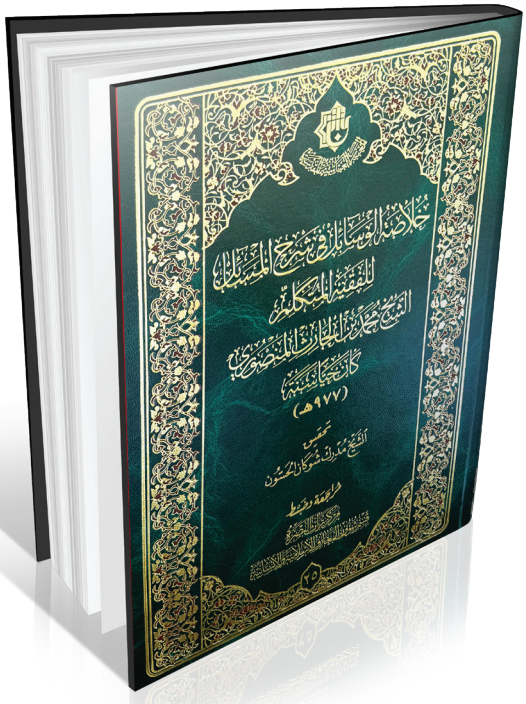

الجزءُ السابعُ من كتاب
شهداء العقيدة والوطن

عن مركز تراث البصرة التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العباسيّة المقدّسة ، صدر الجزءُ السابع من كتاب (شهداء العقيدة والوطن) ، وهو سلسلةُ كتب وثائقيّة تستعرضُ سيرةَ شهداء فتوى الدِّفاع الكفائيّ في مدينة البصرة.

يتناول الكتابُ سيرة حياة نخبة من الشهداء الأبرار الأباة، الذين قدَّموا أرواحهم قرابين من أجل حماية الوطن العزيز ، والذين أفصحت همهم العالية و دماؤهم الزكيّة عن أسمى المعاني، وضربوا أروع الأمثلة في التضحية والإيثار من أجل دحر الإرهاب بأشكاله الحاقدة وصوره المشوّهة وممارساته الحاقدة الرعناء ، فضلاً عن سيرهم الذاتيّة ، ومراحل حياتهم، وتوجّهاتهم ، ووصاياهم التي تركوها لأبنائهم وأحفادهم ، وممارساتهم العلميّة ، وعلاقاتهم الاجتماعيّة ، واهتماماتهم الخاصّة، التي تؤكّد حضورهم في مجالات الحياة كافّة ، ومشاركاتهم في الفعّاليّات والأنشطة والمناسبات الدينيّة ، ومشاركاتهم في الأعمال والمواقف التي تُثبت حقيقةَ توجّهاتهم الرساليّة الصادقة ، ومعرفة الفعّاليّات والأنشطة التي قاموا بها ، وانتظامهم في المدارس والمعاهد والكلّيّات ، والهوايات والأعمال والأنشطة العامة .. وما قيل فيهم من قصائد وأشعار ومدائح ومراثي ، وأثر ما تركته سيرهم المُشرقة على بعض أقرانهم وذويهم .

الكتاب _الذي أشرفت على طباعته دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع ، وقدّمه مركزُ تراث البصرة_ يُعدّ سفرًا توثيقياً لما قدمته الأرواح المطهرة لشهدائنا الأبرار ، رمز الوطن وعنوان وجوده وبيان هويته .. معزز بصورٍ شخصيةٍ وجماعيةٍ لاهم الفعاليات والأنشطة القتالية التي حدثت ضمن سوح الشرف والمواجهة القتالية .

مركزُ تراثِ البصرة
يُصدِرُ سلسلةَ أفلامٍ وثائقيَّةٍ
عن شهداءِ فتوى الدِّفاع الكفائيّ المباركة

أصدر مركز تراث البصرة التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة سلسلة أفلام وثائقية عن الشهداء الأبرار، الذين لبّوا نداء المرجعيَّة الدينيَّة العليا في النجف الأشرف للدِّفاع عن حياض الوطن العزيز ، وسجَّلوا أسماءَهم بمداد النور والألق في سجلّ الخلود والرفعة، شهداء أبراراً تعتزّ بهم ذاكرةُ الشرفاء والمخلصين.

وتضمّنت الأفلامُ الوثائقيّةُ عرضاً لِسير حياتهم الشريفة، وأدوارِهم الفكريّة والدِّراسية والدِّينية ، وبيان للفعاليات والممارسات التي قاموا بها خلال حياتهم ، وتلبيتهم لنداء المرجعيّة المباركة ، وانخراطهم في صفوف القتال مع إخوتهم المجاهدين، ومشاركاتهم في جبهات العِزِّ والشرف ، وعَرْضاً للفعّاليّات والمهارات القتاليّة العسكريّة التي استبسلوا فيها.

و كذا أشارت الأفلام المعدّةُ إلى صمود الشهداء الأبرار الأسطوريّ في العمليّات والأفعال التي نفّذوها في سوح معارك الشرف ، ومدوّناتهم ووصاياهم إلى ذويهم ، وغيرها من المآثر التي رافقت حياتَهم، والفعاليات القتالية والجهادية التي تشرَّفوا بها ، وتضمّنت – أيضاً- عرضاً موجزاً لاهتماماتهم وتوجّهاتهم الشَّخصيّة التي تؤرِّخ لهم ، والحالات الاستثنائيّة والبطوليّة المتألّقة التي أفصحت عن حضورهم الفاعل في جبهات العِزِّ والشَّرفِ ، إلى غير ذلك من الصّفحات المشرقة التي تفتخر بها ذاكرةُ التاريخ.

مديرُ مركز تراث الحلّة يزورُ مركز تراث البصرة

استقبلَ سماحةُ الشيخ مدرك الحسّون، مدير مركز تراث البصرة التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العباسيَّة المقدَّسة ، سماحةَ الشيخ صادق الخويلديّ، مدير مركز تراث الحلّة، التابع للقسم المذكور.

وتخلّلت الزيارةُ _التي حضرها الشيخ ياسين اليوسف معاونُ مدير مركز البصرة_ التطّرقَ إلى موضوعات مهمَّة ، كمدِّ جسور التلاقح التعاون بين المركزين وبما يخدم تعزيز المنهج والخطّة الفكريّة التي يرسمها قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة المطهّرة ، ورصد الأعلام والشخصيّات والأسماء والعناوين الفكريّة التي لها الأثر المشرق والكبير، التي أسهمت في تعزيز وإغناء الدور الفكريّ والتراثيّ للمدينتين الفيحاءتين، فضلاً عن أعمال ومهامّ وحدات تحقيق الكتب والمخطوطات التي يضطلع بها المركزان ، وبيان المعوّقات التي تعترض وتواجه عمل المحقّقين ، والإصدارات والنشريّات التي أنتجها المركزان، بما يلبّي أدوارهما الفكريّة والثقافيّة، التي تنطلق من ذات الخزين المعرفيّ الذي حملته أروقة البصرة الفيحاء والحلّةُ المحروسة.

وكذا دار الحوارُ حول أدوار ومهامّ وأثر بعض الشخصيّات التي سكنت البصرة والحلة ممن لها حضور معرفيٌّ وتوجّه فكريّ، والعوائل والأسر التي هاجرت من البصرة واستقرّت في الحلّة ، وضرورة تسليط الأضواء على ما تجسَّد في طيّ مخزونها الفكريّ وتراثها الناجز ، وقد تبادل المركزان أهمَّ الاصدارات والأعمال النشرية التي صدرت عنهما.

جديرٌ بالذكر أنَّ مركز تراث الحلّة من المراكز المهمّة التابعة إلى قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبَّاسيَّة المطهّرة ، ويضطلع بمهمّة نشر وتهذيب وإبراز تراث في مدينة الحلّة المعطاء ، وله دور وإسهام في إصدار العديد من الكتب، وتحقيق المخطوطات والإصدارات الدوريّة ، فضلاً عن إصداره لمجلّة (تراث الحلّة) المحكّمة ، ومجلّة (ردّ الشمس) الثقافيّة ، والكتب، والموسوعات المصوّرة ، واسهاماته المعروفة في عقد المؤتمرات والنَّدوات واللقاءات والأمسيات الفكريّة والثقافيّة، التي تعنى بتراث المدينة ، ويمتلك المركز وحداتٍ إداريّةً ودراسيّةً وتحقيقيّة تتبنّى عمل كلّ ما له علاقة بتراث مدينة الحلّة ، وبما يحقّق ويلبّي طموح مشهد هذه المدينة المتخم بالفكر .

مديرُ قصر الثقافة والفنون في البصرة

في رحاب مركز تراث البصرة

ضمن خطّة التعاون مع المؤسّسات والدوائر الثقافيّة والفكريّة في مدينة البصرة ، استقبل سماحةُ الشيخ مدرك الحسّون، مديرُ مركز تراث البصرة التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة ، الاستاذ باسم حسين غلب، مديرَ قصر الثقافة والفنون في البصرة، ودار اللقاء حول مجموعة من الأمور التي تخصّ عمل الطرفين في المجالات الثقافيّة والفكريّة ، وخصوصًا مجالات تجسير العلاقات ومدّ قنوات التعاون الثقافيّ ، والمشاركة ضمن الفعاليات والبرامج والأنشطة الثقافيّة في مدينة البصرة ، تلك التي تعنى بالتوجّهات والبرامج التراثيّة والتاريخيّة، وأثرها في ترسيخ مشهد التوثيق والتدوين وحفظ التراث بما يخدم طبيعة ومكانة مدينة البصرة ، مدينة العلماء والمآثر والمشاهد التاريخيّة والتراثيّة .

واتّفق الطرفان على مشاركة المركز ضمن المؤتمر المزمع إقامته ، وهو الخاصّ بإنتاج الأفلام القصيرة التي توثّق للمناسبة الحسينيّة الشريفة.

وقد أبدى سماحةُ الشيخ استعداده وترحيبه بالفكرة ، لما لها من دور فاعل في تعزيز وتعضيد المشهد الحسينيّ ، وأثره في استلهام وتحفيز الوعي العامّ ، وإبراز الحسّ الجماهيريّ واستنهاضه ، بما يخدم طبيعة وتوجّهات المرحلة .

وقد شمل اللقاء الوقوفَ على البرامج والفعّاليّات التي يرسمها الطرفان بما يخدم مصلحة وطبيعة توجهات مدينة البصرة ويعزّز أدوارها في مجالات تأكيد رسالة الفكر والثقافة والتراث .

مركزُ تراث البصرة
يشارك في أسبوع الإمامة السنوي الثاني

ضمن فعّاليّات أسبوع الإمامة الدُّولي الثاني، الذي تقيمه الأمانة العامّة للعتبة العبّاسيَّة المقدَّسة تحت شعار : (النبوّة والإمامة صنوان لا يفترقان)، نظَّم قسمُ شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة مؤتمَر الإمام الكاظم (عليه السلام) الدولي الثاني ، وقد شارك مركز تراث البصرة التابع للقسم المذكور بمجموعة أبحاث حظيت ثلاثةٌ منها بقبول اللجنة العليا للمؤتمر ، كان الأول بعنوان: (مروّيات الإمام الكاظم (عليه السلام) في كتاب المكاسب المحرّمة للشَّيخ الأنصاري ودورها في عملية استنباط الحكم الشَّرعي – دراسة في ضوء منهج الاستنباط عند الإمامية) – قدّمه سماحةُ الشيخ الدكتور محمود العيداني ، وحَمَل الثاني عنوان: (التعاطي الإيجابي مع التحدِّيات في المنهج التبليغي عند الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)، قدَّمه الأستاذ الدكتور شكري ناصر عبد الحسن ، وأما الثالث، فجاء تحت عنوان : (المناجاة نصاً ثقافيّاً ..مقاربة نقدية في مناجاة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) المعروفة بـ (الجوشن الصغير)) للأستاذ الدكتور علي مجيد البديري .

يذكر أنَّ المؤتمر قد حضره جمهورٌ واسع كبير من أساتذة الحوزة العلمية و طلبتها ونخبة من الأكاديميين والمتخصصين والباحثين، الذين كانت لهم مداخلاتٌ وتعقيباتٌ أثرت وعزَّزت الأهدافَ الحقيقيَّة التي كان يطمح إليها المؤتمر، فضلاً عن بقيّة البحوث الرصينة التي أغنت أدواره وأسهمت في تعضيد أهدافه .

وقد أشاد جميع المشاركين بالنجاح الكبير الذي حقّقه المؤتمر، والدعم الواضح والإدارة الناجحة التي قدمتها الأمانة العامّة للعتبة العبّاسيَّة المقدّسة .

جدير بالذكر أنَّ أسبوع الإمامة خطّةٌ من ضمن الخطط الفكريّة والثقافيّة المتنوّعة التي تسعى إليها العتبة المقدّسة ، وصولاً إلى تكريس دور أهل البيت (عليهم السلام) وتعضيد سيرهم وأدوارهم ومكانتهم ، والإشادة بعلومهم ومواقفهم ، و إبراز مكانتهم الفكريّة والعلميّة والإنسانيّة .

مركزُ فهرسة ونُظُم المعلومات
في ضيافة مركز تراث البصرة

استقبل سماحة الشيخ مدرك الحسّون، مديرُ مركز تراث البصرة التابع لقسم شؤون المعارف الاسلاميّة والانسانيّة في العتبة العبّاسيّة المقدّسة، وفدَ مركز الفهرسة ونظُم المعلومات في مكتبة دار مخطوطات العتبة العباسيّة ، ممثَّلاً بالسيّد علي طالب والسيّد سجّاد محمد حسن .

و قد تضمنت الزيارة التي حضرها الشيخ ياسين اليوسف معاونُ مدير المركز ، عرضاً للمهامّ والمشاريع التوثيقيّة والارشيفيّة التي يقوم بها المركز ، وانفتاحه على الدوائر والمؤسّسات والمكتبات التي تعنى بالوثيقة والعمل التدوينيّ والارشيفيّ، وضرورة مدّ الجسور بين المركزين في مجالات تصوير وتوثيق وحصر المعلومة ،تبادل المنافع ، وبما يخدم التوجّهات والبرامج التراثيّة للعتبة العبّاسيّة المقدّسة وبرامج المركزين ، وتحفيزَ أدوار ومهامّ البحث والتقصّي عن كمّيّة التراث غير المعلن، الذي يحتاج شحذَ الهمم وتوظيفها للوصول إلى منابع هذا التراث ومنطلقاته ، ولما له من الأثر الايجابيّ على الباحثين والمحقّقين والدارسين .

وكـذا بحث الطرفان ضرورةَ التعاون المباشر والمشترك والمفتوح ، من خلال تبادل المعلومات والخبرات وفتح القنوات والدورات والورش، التي تصب في تمتين الخبرة والتخصّص في مجالات الوثيقة والارشفة والتدوين ، واتّفق الطرفان على إمكانيّة العمل المشترك مع المؤسّسات والدوائر والمنظّمات المعنيّة التاريخ البصريّ وبتوجّهاته المختلفة ، ووضع خطّةٍ تخدم الطرفين في محاور استحصال المعلومة ورصدها ودراستها ، لا سيّما في مجال ما يتّصل بالتراث المدفون وكشف الحجب عن مكامنه.

عَبَقُ الماضي وأصالته
في متحف مرتضى كامل للتراث

وحدة الإعلام

ضيفُنا هذا العدد من الشخصيّات البصريّة العاشقة للتراث، التقينا به في متحفه الذي نقله لمدينة سفوان، سألنا الحاجُّ مرتضى كامل (أبا علي)، صاحب متحف مرتضى كامل للتراث، رئيس مؤسّسة (تراثنا) لإحياء التراث العراقيّ عن بدايات هذا المتحف .

– أوّلاً: أهلاً وسهلاً بكم في رحاب وأروقة هذا المتحف ، لاسيّما وأنّ توجّهاتكم ومهامّكم تصبّ في واقع التراث، الذي يعدّ واحداً من أهم مرتكزات واهتمامات عملنا من خلال هذا المتحف العامر.

نعم ، منذ أكثر من ثلاثين سنة بدأ اهتمامي بجمع المقتنيات والمدّخرات والتحف والنفائس التي تعود إلى الماضي السحيق ، ولا أُخفيكم أنّني من عائلة تعشق التراث وتعنى به ، بل تستشهد بكلّ ما هو قديم وعتيق ، إذا ما سلّمنا أن توجّهات الفرد العراقيّ هي تاريخيّة تراثيّة أيضاً ؛ لأنّه دائماً ما يستحضر مواقف الأجداد الأباة ، والآباء الأوفياء ..

لقد ورثت أساسيّات هذا المتحف من عائلتي ، ولكنّ القسم الأكبر كان عن طريق المتابعة للتحف والمقتنيات الأثريّة والتاريخيّة القديمة ، فقد كنت أشتري كلّ ما هو نادر ويحمل بصمة تاريخية، ويعزّز أدواره التراثية التي تشير إلى حكاية أو موقف أو حادثة أو مشهد تاريخيّ ... والساحة العراقية – ولله الحمد– عامرة زاخرة بهذا التراث الكبير ، الذي تركه الأسلاف الأباة من الذين نعتزّ بهم ونتفاخر بأيامهم ونخلّد مواقفهم المشرقة ، وهم مثار فخرنا ومحطّ اعتزازنا ومضرب أمثالنا .. ناهيك عن مواقفهم التي تدلّل على بصماتهم المشرقة، ولكن، أستطيع أن أقول: أنَّ التأسيس الرسميّ لهذا المتحف كانه قبل أكثر من خمس سنوات ، يوم انتقل المتحف من منطقة أبي الخصيب إلى ناحية سفوان .

وما هو العمرُ الحقيقيُّ لهذا المتحف ؟

أكثر من ثلاثين سنة ، لاسيّما وقد انتقل مكانهُ من منطقة أبي الخصيب إلى منطقة سفوان الحدوديّة كما أسلفت ؛ باعتبار أن المكان كان صعباً، وأن المكان الذي يمكنه أن يحتضن مثل هذه المشاريع يحتاج إلى طبيعة خاصّة ، وأنتم أعلم بالتحف والمقتنيات التي تحتاج إلى طقس خاصّ بها وجو يتلاءم مع طبيعتها ، ولا

أُخفيك أنّ حلم المكان المناسب كان يراودني على الرغم من المناشدات التي قدّمناها الى الجهات المسؤولة العليا ، وهي سلسلة طويلة من المواعيد التي لم تحسم وللأسف الشديد.

ماذا يعني لكم التراث ؟

يقولُ أهلنا : (إلمالَه أوَّل ما لَه تالي)، ويقولون أيضًا : (عِتيج الصّوف ولا يدِيد البريسم)، للأسف، يأتي حبُّنا وعشقنا واهتمامنا بالتراث في زمن نرى فيه أنّ الجهات المعنية غير ملتفتة إلى أهميته؛ ونلتمس لها العذر هنا؛ كون البلاد تمر بسلسلة طويلة من المنعطفات والتحوّلات .

لا أخفيك نحن ثلّةٌ من المهتمّين بهذا الأمر من مختلف محافظات العراق نلتقي دوريّا ، ونتكلّم بحرص وحبّ وانتماء بشأن التراث وهمّ التاريخ . نعم ، نحصل على التشجيع والتحفيز من بعضنا البعض ، لاسيّما من المهتمين والمتخصّصين ، ونجد أنّ ذلك يؤلّف حافزا لنا ، أنا هنا استحضرُ أسماء مشرقة وعمّالاً ودعاةً تصبّ جهودهم الخيرة في مضمار الحفاظ على التراث وتأهيله وتطويره، مثل: الأخوة القائمين على متحف (الأسلاف) للتراث في الحمدانيّة في محافظة نينوى ، والسيّدة غادة، والأستاذ أحمد الهيتي .. وأغلبهم يعملون بصورة وجهود شخصيّة ، وقد حقّقوا متاحف جاءت من مقتنياتهم ومخلّفات أهلهم ، وهم يستشعرون ضياع الوثيقة والمعلم والتحفة التاريخيّة ، فيحرصون على مشاريع إقامة المتاحف والدور التراثية ؛ انطلاقاً من شعورهم بالانتماء إلى هذا الوطن ، و حرصهم على الحفاظ على تاريخه وموروثه ، وتوقّعهم بأنّه وبظروف متفاوتة قاهرة أخرى هذا التراث يتعرض لإتلاف أدواته ومقتنياته المادّيّة ، وهنا تأتي ضرورة إفراد أماكن خاصّة لهذه الموروثات ، تتأكّد بالمتاحف والخزانات التراثيّة .

ما هو عدد القطع الأثريّة التي يضمّها متحفُكم ؟

هناك أكثرَ من عشرة آلاف قطعة متنوّعة ، في مجالات مختلفة مثل: الأسلحة والمدخرات العسكريّة السيوفُ والبنادق والحراب والمدافع والقاذفات والدروع الواقية والأسلحة الشخصيّة وبنادق الصيد والبنادق الشخصيّة ، والعدد والقياسات والنواظير العسكريّة المختلفة ، والصوتيّات بأنواعها ، والأفرشة الأرضيّة والمعلّقة، واللوحات التراثيّة ، والشواهد الصوريّة التاريخيّة ، والمراوحُ بأنواعها: التقليديّة والكهربائيّة ، والأبوابُ والمداخل الخشبيّة والحديديّة ، والقطع النقديّة وفق عصرها وأزمانها ونقشاتها ، والدّراجات الهوائيّةُ وبعضُ وسائل النقل البسيطة ، والزوارقُ بأنواعها المستخدمة ، وصنابيرُ المياه القديمة ، والأفرشةُ ، ومكائنُ

الخياطة ، وآلاتُ الغزل ، والكتبُ والمنسوخات والمخطوطات، والصحف والمجلّات والمطويّات ، وأدوات الزراعة القديمة ، وأنواع سلال الخوص والصناعات السعفيّة ، والصور واللوحات القديمة ، وأجهزة الجوّال القديمة ، والتبريد ، والطبخ ، وأدوات الحلاقة ، وبعض الأجهزة المستخدمة في حياتنا اليوميّة القديمة، والمخاطيف والمجاذيف والسنارات ، وأجهزة الصيد بأنواعها ، والأقفال ، والدلال ، وأواني الطبخ ، والمغاسل ، وبعض الطابعات ونسخ من محفوظات الطباعة القديمة (اللاينوتيب) ، والبطّاريّات القديمة الفحميّة والمضغوطة ، ورحى طحن الحبوب ...

ولكن، ما الذي يستهويك من هذه التحف والمقتنيات كلّها؟

أنا أتوقّف أمام لوحة (بانوراما) تمثّل موقف ثوار ثورة العشرين الخالدة ، ومقاومتهم وتصدّيهم المشّرف للاحتلال البريطانيّ ، وهي لوحة جسدها فنّانٌ قديم تمثّل موقف الثوّار الأبطال ، وصمودهم أمام الجنود المحتلّين بمدافعهم وأسلحتهم، وهم يحملون الأسلحة البسيطة والفالة والمكوار، مردّدين الأهزوجة المعروفة : (الطوب احسن لو مكواري)، ويغرزون الحرابَ والرماحَ في صدور المعتدي الآثم ، والفالة التي غرزوها في قلب أحد قادة الاحتلال ، وهم يترنّمون بالهوسة المعروفة : (رد فالتنه اعتازيناها ...)، وهناك نرى الشخصيّات الحوزويّة التي رعت وباركت الثورة الخالدة واشرفت عليها ، وكذا الهمّة التي يتبنّاها الثوار بأسلحتهم ولباسهم العربيّ .

أضف الى ذلك أن ضمن مدّخرات هذا المتحف الذي نعتزّ به هو سيفاً قديماً يعود إلى سنين خلت ، وكذا بعض الصناعات البصرية ، وبنادق من صنع بصريٍّ يستخدم للصيد يسمّى البوري ، وثلّاجة هي أوّل أنواع الثلّاجات التي جاءت إلى العراق تعمل بواسطة النفط ، وغيرها ممّا ترون .

هل ثمَّة حُلم أو أمل يراودك في هذا المجال ؟

نعم ، فلطالما يراودني حلم تأسيس المدينة التراثية التي تتكفّل

بالتراث البصريّ الكبير ، وتعرف القادم على الأدوار التاريخيّة والتراثيّة لهذه المدينة العريقة؛ فبيوتات الشعر والقصب والطين وانتهاء بالآجر والبناء الحديث ، لوحات تاريخيّة تتحدّث عن هذه الحقب الزمانيّة ، وعرض هذه المدّخرات بشكل واسع يعطي الانطباع للزائر والسائح عن الادوار والمخاضات والانعطافات التي مرّت على هذه المدينة ؛ إذا ما استحضرنا الحروب والكوارث التي مرّت بها ، وهي كثيرة ، ولكنّها لم تدثر الادوار المشرقة لهذه المدينة الحية بأهلها وتراثها الخالد .

من يرتاد هذا المتحف ؟

الزيارات كثيرة ومتوالية ، ولكنّ الأكثر منها زيارة الاخوة المهتمين بالتاريخ والتراث وحبّ القديم ، فضلاً عن السفرات العلميّة للجامعات والكلّيّات والمدارس ، وطلبة البحوث التاريخيّة ، والأساتذة المعنيّين بالتراث والتاريخ والوثيقة والأثر .. ونحن بدورنا نعلن من خلالكم أن أذرع هذا المتحف مفتوحة للجميع .

هل دوامُ المتحف يومي ؟

أنا متواجد هنا لاسيما وأنّ لي اهتمامات زراعيّة كما ترون ، استقبلت اليوم عدداً من الاخوة في كلّيّة الزراعة بجامعة البصرة من الباحثين والمهتمّين والأساتذة ، وكذا استقبلُ وفوداً عديدة ، لاسيّما وقد شهدنا قبل فترة مؤتمراً جمع محبي المتاحف والتراث، وهم يحرصون على التواصل فيما بينهم .

ما هي أهمّ الشخصيّات التي زارت هذا المتحف ؟

أقول : بالنسبة لي الشخصيّات التي حلّت في هذا المتحف كلّها مهمّة ومرحّبٌ بها ومثار اعتزازنا ، لكنّني استقبلت أخيراً وفداً يابانيّاً معنياً بالتراث والحضارة ، وكان على رأسه رجل معنيٌّ بالتراث والوثيقة والمعلم التاريخي ، حط رحاله هنا ، ولقد سرّني أنّ القائم على الوفد ألّف كتاباً عن البصرة باللغة اليابانية أسماه : (البصرة ، الماضي والحاضر)، وهذا الرجل يشغل منصبَ مدير الثقافة والتراث في اليابان .

وكيف كانت انطباعات هذا الرجل عن المتحف ؟

كان منبهراً، ولكنّه كان يشعر بالأسف في الوقت نفسه نتيجةً للإهمال الذي تعانيه المتاحفُ الشخصيّة ، مقارنةً باهتمام حكومتهم هناك بالمتاحف الشخصيّة وغيرها .

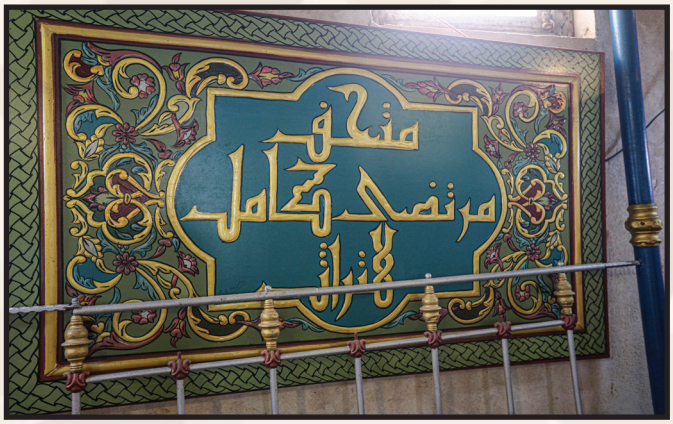

هل لديكم طريقة أو آليّة للحفاظ على هذا الكم الكبير من التحف ؟

لا أخفيكَ أنَّ لكلّ تحفة خصوصَّيتها وطريقةَ خزنها ، أنتم تعرفون أنَّ التحف تخزَّن في خِزانات ومحفوظات ومشاجب خاصّة بها تتناسب ونوع التحفة ، ولا أخفيك أنَّ هذا الأمر مفقود عندنا، ولكنّ أهمَّ ما نخشاه في هذا الصدد هو جوّ البصرة الحار والجاف ، والذي من الطبيعي أن يؤثر على حياتها ، لذا، أملنا كبير في أن يتوفّر لنا جو يتناسب والسقف الزمنيّ لهذه التحف .

هل اتصَلت بكم جهات خارجيّةٌ في مجال عملكم ؟

الكثير ، لا سيّما من المؤسّسات والمنظّمات المعنيّة بالتاريخ والـتراث والوثيقة ، ومنظّمات من المجتمع المـدنيّ المحلّيّة والاقليميّة والدوليّة ، مصحوبة بعروض متنوّعة، ولكنّنا نفضّل أن نحتفظ ببصمتنا العراقيّة دائماً ، وهي تشير إلى منهجنا ورسالتنا، استقبلنا وفوداً من مصر وقطر والامارات العربيّة المتحدّة وإيران والكويت واليابان ، ومنظمات دنماركيّة وكنديّة ، وكان المتحف يفتح أبوابه خلال دورة الخليج لكرة القدم .

كلمة اخيرة ؟

نحن نشعر بالفخر ونحن نعزّز درجات الشعور بالانتماء ، ونحثّ الحسَّ الوطنيَّ داخل المواطن والزائر الكريم من خلال ما نجده من زيارات ، وهذا الشعور يجعلنا نزيد من إصرارنا على تعزيز دور هذا المتحف ...والحمد لله على هذه النعمة .

جامعُ الإمام عليّ (عليه السلام):
مكانٌ يجمع المؤمنين على الكلمة الطّيبة

من معالم البصرة في قضاء شطّ العرب في منطقة باب الحوى الجزيرة الرابعة، مسجدُ الامام علّي (عليه السلام) الذي كان يحمل اسم جامع الجزيرة الرابعة في بداية تأسيسه ، شيّده المرحومُ الحاجّ محمد حسين العراديّ عام ١٩١٧ م من مادّة الطابوق الفرشيّ، وكان سقفُه من خشب الصندل والبرديّ و الطين ، بمساحة ٢٠٠ الى ٢٥٠ مترا مربّعا .

دواعي تأسيس المسجد

كانت منطقةُ الجزيرة تخلو من مسجد؛ لذا أُسّس فيها هذا المسجد المبارك؛ لتقام فيه المراسمُ العباديّة والشعائر الحسينيّةُ، وليجمع المؤمنين على الكلمة الطّيبة ويكون مكاناً مباركاً للتعلّم والتعليم النافع للأمّة والمجتمع .

ومع أنّ مؤسّس المسجد الحاّج (محمد حسين العراديّ) كان من أغنياء المنطقة ، لكّنه عندما أراد بناء المسجد، كان يسعى إلى أن يشرك جميع أهالي المنطقة في بنائه، وكان يهب المال من أجل أن يسهم الجميعُ في إعمار المسجد، وبعد وفاته أصبح الحاجّ (عبد الواحد) والحاجّ (خضير) هما من يتولى شؤون المسجد .

أبرز الخطباء والشخصيات التي زارت المسجد

من أبرز الخطباء الذين حاضروا في جامع الإمام علّي (عليه السلام)، ومن الخطباء البارزين، الشيخ (حسّون سعيد الوائلّي) والدُ الشيخ أحمد الوائلي (رحمه الله) ، و كان الحضور وقتها ملفتاً للنظر بشكل كبير جدّاً في ذلك الوقت، وكان الشيخ في تلك الفترة رادوداً حسينّياً ، و كذا السيّد جمعة الجابريّ ، والشيخ عبود ، والشيخ جعفر المسلّماوي ، وغيرهم من الخطباء ، وأمّا في وقتنا الحالي، فالشيخ ثائر الكوفي ، والشيخ سلام الحلّي ، والشيخ حسين ، والشيخ ماجد ، والشيخ محمد ، والشيخ ماهر المالكيّ ، كلّ هذه الشخصيات كان لها دورٌ كبيرٌ في إحياء المناسبات الدينيّة في المسجد المبارك ، ومن أبرز الشخصيات التي زارت المسجد ، السيّد حامد

السويج، والسّيد علي عبد الحكيم الصافي (رحمهما الله) .

المراحل العمرانية

شهد المسجد منذ تأسيسه عدّة مراحل عمرانيّة، وهو اليوم على مساحة مقدارها (١٢٥٠) متراً مربّعاً ، بمساحة داخليّة للجامع، مع حسينيّة للرجال وأخرى للنساء، مع باحة وغرف على أحد جوانبه.

أنشطة المسجد

من أنشطة المسجد البارزة إقامةُ صلاة الجماعة، وإلقاء المحاضرات الوعظّية والإرشادية ، ومجالسُ العزاء في شهر محرّم الحرام وشهر رمضان المبارك .

تمويل المسجد

يحتاج المسجد على الدوام إلى التمويل؛ لتلبية الاحتياجات بمختلف أنواعها، ولتلبية هذه الاحتياجات المطلوبة، غالباً ما يجمع المؤمنون الخيّرون من أهالي المنطقة والقائمون على خدمته الأموال لهذا الغرض .

الوجوه المؤثّرة في المسجد

كثيرٌ هم المصلّون في هذا المسجد المبارك، وكثيرة هي الوجوه النورانّية المباركة والمؤثّرة، ومن هذه الوجوه الحاجّ عبد الواحد القطرانّي ، والحاجّ خضر ، والحاجّ جاسم محمد ، والحاجّ مجيد الرمضان ، والحاجّ عبد النبيّ ، والسيّد عليّ سيّد حسين .

هذه نبذة مختصرة جمعناها عن هذا البيت المبارك من بيوت الله تعالى أثناء جولاتنا التوثيقّية لهذه الأماكن العبادّية المقدّسة، وتبقى مساجدُنا منارات هدىً وأفانينَ شاخصة تدلّ على الهدى والفضيلة.

منهجيّةُ التوفيق في فكر إخوان الصفا

القسم الأوّل

إنّ أيّةَ دراسةٍ لا ترقى إلى مستوى العِلميّة ما لم تستند إلى منهجٍ يهيّئ للباحث التقنيّات والطرائقَ لفحص الظواهر ومراقبة دقائقها، وفي ضوء ذلك المنهج تتحدّد الخطوات، وتُطرَحُ الفرضيّات، وتتهيّأ المبادئ الكفيلة بحلّ المشكلات، من هنا يبدأ السيرُ عَبْرَ وسائلَ علميّةٍ وتقويميّةٍ نحو أهدافٍ مُحدّدة.

الدكتور عامر السعد

وقد تعدّدتْ المناهجُ وتنوّعَتْ بما يتناسب وطبيعة البحث، كالمنهج التاريخيّ، والمنهج السلوكيّ، وغيرهما، ولم تقفْ علومُ اللغة بعيداً عن تللك المنهجيّةِ العلميّة، بل كان لزاماً على الباحث في هذا المجال أنْ يُحدِّد منهجه قبلَ الشروع بخطوات بحثِه ، وقد شاع في الـدَّرس اللسانّي المنهجُ التوفيقيُّ (التلفيقيّ) الذي آثره الكثير من الباحثين ليتسنّى لهم الخوض في أكثر من مجالٍ علميّ، وهو ما يؤدّي الى إثراءِ البحث ؛ حتى صِرْنا نجدُ ونحن نقرأ بحثاً في اللغةِ حضوراً للفلسفةِ وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم، وأمامنا الكثيرُ من الأمثلة على ذلك؛ خُذْ مثلاً: عالم اللغة السويسريّ فرديناند دوسوسير (ت ١٩١٣م)، الذي عدّه الكثير من الباحثين مؤسّسَ علم اللغة الحديث، وكان أبرز ما يلاحظ في دراساته التداخل بين علم اللغة وعلم الاجتماع، وهو الذي عرَّف اللغة بأنّها (ظاهرة اجتماعيّة)، ولا ننسى عالم اللغة الأمريكيّ ليونارد بلو مفيلد(ت ١٩٤٩م)، الذي استندَ إلى علم النفس في بحوثه اللغويّة؛ فعرَّف اللغة أو الكلام بأنّه (استجابة لمجموعة من المنبهات أو المحرّضات اللفظيّة).

وقد نحا هذا المنحى التوفيقيَّ عالم اللغة الأمريكيّ نعوم تشومسكي، الذي أفادَ كثيراً من مجال الفلسفة وعلوم العقل؛ فأنشأ نظرّيتهُ النحوية الشهيرة(النظرية التوليديّة التحويليّة في النحو)، وهو يرى أنّ البنى السطحّية للجمل مشتقّة من بنى عميقة تظهر إلى السطح عبر عمليّات عقليّة فتّتخذ شكلَها النهائيّ .

وهكذا يُلاحظ أنَّ منهج التوفيق كان شائعاً عند علماء اللغة الغربيّين، وهو منهجٌ سليم ؛إذ لا بُـدّ للعلوم من أنْ تتلاقح ليُثريَ بعضُها بعضاً؛ فيقف القارئ عندها أمام دراسة واسعة شاملة متعدّدة المشارب والاتّجاهات.

إنّ هـذه المنهجيّة التـي يُـشـار إلى حداثتها لم تكن غائبة عن تراثنا البصريّ قديماً؛ فقد لاحظنا وجودها عند علماء اللغة البصرّيين، وكـان الخليلُ بنُ أحمد الفراهيديّ (ت١٧٥هـ) رائـداً فيها؛ إذْ وفّق بين الفلسفةِ واللغة ليقدّم لقارئه مع كلّ قانون في النحو حججاً عقليّةً مقبولة، ترسّخ المعلومةَ وتجعلها مقبولة، ولعلَّ هذا المنهجَ التوفيقيَّ شاع عند الخليل في كلّ دراساته اللغويّة، وهو المنهج الذي سار عليه سيبويه (ت١٨٠هـ)، بل هو منهج مدرسة البصرة النحويّة، وللأسف أنّ المجدّدين في النحو أعابوا ذلك المنهج، ووجّهوا نقودهم إلى نظرية العامل في النحو وما يترتّب عليها من العِلل، متناسين أنّ في ذلك إثراءً للمعلومة النحويّة ينتفع منه المتلقّي كثيراً.

وإذا ما جئنا إلى فرقة المعتزلة التي ظهرت في البصرة سنة(٨٠هـ)، فسنجد تجلّيات ذلك التلفيق في فكرهم الذي هو حصيلة تداخل علوم الفلسفة والدّين والسياسة والاجتماع، بمعنى أنّهم لم يعتمدوا النظرة الأُحاديّة في إنتاج أفكارهم، بل حاولوا أن يثروا آراءهم العقلّية بكثير من العلوم.

ومن المفيد الإشارة في هذا المضمار إلى عالم اللغة البصري عمر بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، الـذي حـاول التوفيق بين كثير من العلوم، لا سيما في كتابيه (البيان والتبيين) و(الحيوان)، حتّى عدّه الكثيرُ من الباحثين بأنّه (موسوعي).

بعد هـذا، لا نُـغـالي إذا مـا قلنا إنّ البصرة كانت سبّاقة في اعتماد منهجيّة التوفيق (التلفيق) في البحث العلميّ، وسنستوضحُ هـذا الأمـر عند (إخـوان الصفا وخـلّان الوفا)؛ ذلك الفريق من العلماء والمفكرين الذين أخفوا أسماءهم، وراحوا يصنعون الثقافة ويشيّدون صَرْحَ العلم بعيداً عن الأنظار حتّى لمعَ نجمهُم في صفحات التاريخ والتراث البصريّ.

ولاشكّ في أنّ هذا التخفّي جاء نتيجة للسياسات الظالمة التي تشبّعت من العُتمة من غير أن تدرك أنّ بصيصًا صغيراً لأقوى من جيوش الظلام وإنْ كَثُرتْ .

لقد ظهرت هذه الجماعة في سبعيّنيات القرن الرابع الهجريّ، وكما يشار إلى أنّها ظهرت في سنة (٣٧٣هـ)، وقد حاولوا بتشكّلهم هذا أن يؤسسّوا أوّل رابطة أو مؤسّسة علمّية في التاريخ، بعد أن كان نمط التأليف والبحث يسيرُ في شكلٍ فرديّ، وإذا أردنا أن نؤّرخ لاتحاد الكّتاب في العراق، فمن الممكن القول: إنّ تجمع (إخـوان الصفا وخـلان الوفا) كان أوّل اتّحـاد للكتّاب العراقّيين، وهو الأوّل في تاريخ العرب، وقد أوجدته البصرة.

لقد كان هذا التجُّمع البصريُّ حقلَ معرفةٍ وعلمٍ وأدب نجد فيه أزاهير من مختلف العلوم، كالمنطق والفلك وعلوم الطبيعة والفيزياء والأخـلاق والوحي والروحانّية، وقد صيغت تلك الرسائل بأسلوب بلاغيٍّ رفيع ولغةٍ أدبّية رائعة مستعملة الرمز استعمالاً جميلاً ، وهي تؤكّد بذلك أنّ العلمَ هو أساسُ سعادة الانسان، ومن أجل تحقيق هذا الهدف، فلا بدّ من توحيد المذاهب الإسلاميّة، ولا بدَّ من تجاوز النظرة الأحاديّة، ومن تلاقح الأفكار، وتداخل فنون المعرفة؛ لذلك، كان المنهج التوفيقيُّ هو الطريق الذي اعتمدوا عليه في مسيرتهم العلمّية، فدمجوا بين العلوم، ووفّقوا بين الفلسفة والـشريـعـة، ومـن المنـاسـب التعريف بالمفاهيم بكلّ اقتضاب، فالشريعة تعني ما شّرعـه اللهُ لعبادهِ لتحقّق الغاية من الحياة، وهي العمل واتباع مبادئ الحقّ في العبادات والمعاملات، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]

أمّا الفلسفةُ، فتعني في أصلها اللغوي اليوناني(حبّ الحكمة)، وقد تعدَّدتْ معانيها في الاصطلاح بحسب منظور متبنِّيها، فالطبيعيون الذين غلبتْ عليهم النظرة الخارجية للطبيعة عرّفوها بأنّها: البحث عن حقائق الموجودات.

وذهب (أرسطو) إلى أنّها البحث عن الموجود بما هو موجود؛ لكونها تتحدّث عن العِلل والمبادئ الأولى بشكلٍ مُطلق، وهناك من نظرَ إلى الفلسفة من وجهةٍ

(١) - (سورة الجاثية، الآية:١٨).

أخلاقيّة.

ويرى(ديكارت) أنّ الفلسفة هي العلم بالمبادئ الأولى، والعلم الكلّي الشامل، وغايتها تحقيق السعادة للإنسان.

وهناك من لخّصها بأنّها: العلم بالعِلل والمبادئ، والظاهر إنَّ العلماء المسلمين قد تأثّروا كثيراً بأرسطو؛ فذهب الفارابيُّ إلى أنَّ الفلسفة هي البحث في الموجودات بما هي موجودة، ولم يذهب بعيداً ابنُ سينا عن ذلك المفهوم .

وما يتضح من جملة المفاهيم، أنّ الفلسفة تبحث عن حقائق الأشياء بعيداً عن العاطفة والمؤثّرات المادّية أو الاجتماعيّة.

وهذا هو المفهوم الذي أفادَ منه إخوانُ الصفا، الذين وجدوا ضرورة التوفيق بين مبادئ الشريعة وتلك المفاهيم لإنتاج فكرٍ يعمل على تحقيق السعادة للإنسان.

وقبل الخوض في ذلك الفكر، لا بُدّ من قراءة مُتفحّصة لتاريخ ظهور تلك الجماعة، فسبعينات القرن الرابع الهجريِّ ليست ببعيدة عن المدّة التي عاش بها الإمام الحسن العسكريُّ (عليه السلام)، الذي تُوُفّي مسموماً بتحريض المعتمد العباسيّ عام (٢٦٠هـ)، وهي التي صادف فيها تواري الإمام الحجّة (عجل الله فرجه) عن الأنظار، حتّى يبعثه الله تعالى ليملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .

وفيما أرى أنّ اختفاءَ جماعة إخوان الصفا مؤشرٌ لأمرين:

الأول: يـؤشّرُ حالـةَ احتـجاجٍ على سلطاتٍ ظالمة وحكومات فاسدة.

والثاني: يؤشّر لصناعة ثقافة لا تروق لمثل تلك الأنظمة الجائرة ؛لأن الثقافة التي يريدها أولئك الطغاة ثقافةٌ مقيَّدة أو موجَّهة في سياق خدمة الحاكم الظالم وتهيئة المسوّغات لشرعنة وجودهِ على الكرسيّ .

ومن كلا المؤشرين يُستَشَفّ أنّ تلك الجماعة كانت على وعيٍ كامل بالواقع السياسي الذي كان عليه حكم العباسيين، كما أنها كانت على درجة عالية من الثقافة، ولاشكّ في أنّ أغلبهم كانوا أبناء علماء وأدبـاء ومِـن عِلية القـوم، والظاهر أنّ أفكارهم وثقافتهم كانت تشيع بين الناس من غير أن يعرف أحد مَن يقف وراءها، أو منْ أنتجها، ولعلّ هذه أول حالة في تاريخ الثقافة الإسلامية تُشير إلى (موت المؤلف) ـ إذا صح التعبير ـ وهو ما عليه النقد الأدبي الحديث وقد قنن فيه الناقد الفرنسي رولان بارت (ت١٩٨٠م) الذي أكدّ أنّ الأساس في قراءة النص الأدبي هو التفاعل بينه و بين متلقيه و إلى أن القارئ هو مطلبُ النص.

وإذا ما تبيَّنا ذلك عند (إخوان الصفا) فسنجدُ نصاً فحسب، أما منتجهُ فهو غائب تماماً عنه، لذا لا يمكن الحديث عنه ألاّ استيحاءً من النص، لأنّ هذهِ الجماعة قد حاولت الاختفاء اختفاءً تامَّاً وراء النصَ، وإذا ما راق لأحدهم أن يكتبَ عنهم فلن يجد مصدراً أو مرجعاً غير تلك الرسائل التي يمكن أنّ يُستَشّفَ منها بعض ما فيه دلالة أو إشارة إلى ما له صلة بهم.

لقد ظهرت هذه الحركة في وقت شهد ازدهـاراً في الحياة الفكرية والعقلية، وقد نشطت الترجمة في ذلـك العصر (القرن الرابع الهجري) فَنُقِلَتْ إلى العربية فلسفةُ اليونان وما دوّنه كُتّاب الفرس، والهنود، والظاهر أنّ هذه الجماعة (جماعة إخوان الصفا) قد استوعبت جيداً تلك الترجمات وحـاولـت التوفيق بينها وبـين الثقافة الإسلامية، وكان من الطبيعي أن تنشأ من ذلك ثقافات متعدّدة في ظل ذلك التطور الفكري، فهناك من يحاول الوقوف بوجهِ أية ظاهرة تجديدية وربما يُشعِرُ ذلك التطور السلطات الحاكمة بخطر انتشار الوعي والتبصير بعيوب السلطة الأمـر الذي يستدعي نشوء طبقة يمكن أن تسمى بـ(مثقفي السلطة) ممن يحاولون الحفاظ على الأنساق الثقافية التقليدية التي تنشر أفكارها بعيداً عن المواجهة أو التحدي.

هنا، لا بدّ من أن تنشأ تّياراتٌ مضادّةٌ؛ لتصحيح الوعي وبناء أنساق ثقافّية جديدة لا تنسجم مع مطالب السلطة الحاكمة.

في هذا السياق ظهرت حركة (إخوان الصفا وخلان الوفا)؛ لتعمل جاهدة على

تغيير البنية العقلية السائدة.

وأوّلُ ما يستوقفنا اسمُ هذه الحركة، وهو اسمٌ جرى اختيارهُ من بين أجمل القيم، وأعلاها في الفضلِ، فالصفا هو: (النقاء)، وهو خلاف (الكدر)، فقولنا: يومٌ صافٍ يعني أنّه يومٌ مُشرقٌ لا يكدّره غيمٌ أو ريح، والقلبُ الصافي هو الخالي من الكَدَر والحقد، أمّا (الوفا)، فهو الصدق والتعاملُ بالحقِّ، فالذي يفي بوعده هو الذي يُنجزهُ في وقتهِ كاملاً، والوفيُّ هو الذي يأخذ الحقّ ويعطي الحقّ، وهو الصادقُ في قولهِ وفعلهِ، وخلافُ الوفاءِ الغدرُ، وإذا كانت الدلالةُ تدور في هذا الإطار، فلا بُدّ لمن ينتمي إلى هذه الحركة من أن يكون صافياً نقيّاً لا يساوره تردّد ولا يكدّر إيمانه شكّ ، ومع هذا يكون وفّياً صادقاً في كلّ ما يقول أو يفعل، وهو بهذا يكون مؤمناً بما عليه الجماعة، التي هي الأخرى على قناعةٍ كاملة به.

هذه هي الرابطة التي تحكم الجماعة، وهي رابطة محكمةٌ كفيلةٌ بأن تصون الفكر الذي يدور فيها، وما ينتج عنها يصلُ إلى المتلقّي بكلّ أمانةٍ وسرّيّة، ذلك أنّ المهّمة التي ألقتها هذه الحركة على نفسها مُهمّةٌ كبيرة وخطيرة؛ لأنّها ستعمل على إنتاج ثقافة جديدة ترفضها السلطة الحاكمة، التي لا تتوانى ولا تتساهل مع هذا اللون من الفكر.

لقد نجحت هذه الجماعة في اختيار عناصرها، ونجحت في العمل وراء أسيجة لا يمكن تسوّرها، فظلّ منتجُ تلك الثقافة متخضّباً، لكنّ ثقافته كانت رائجةً ليس في الشارع البصريِّ وحده، بل وصلت إلى خارج البلاد، وظلّ السؤال قائماً حتّى يومنا هذا : مَنْ يقف وراء تلك الرسائل؟ ولا جواب.....

أمّا ما نطالعه هنا وهناك من إشارات إلى بعض أسماء إخوان الصفا وأخبارهم، فلا يُظَنّ أنّ ذلك أكثر من تكهّن وتخمين، والسببُ الذي يقفُ وراء ذلك واضحٌ؛ وهو أنَّ ما في الرسائل من علم، وأدب، وحكمةٍ يُنبئ أنّ وراءها طبقةً عالية من الثقافة، واسعة الاطّلاع، والبصرةُ من المدن المشهود لها بالعلم والمعرفة والابتكار، وهي لم تكن في يوم ما مستهلكةً للثقافةِ كغيرها من المدن، وإنّما هي منتجةُ ثقافة، وقد أبدعت في كثير من العلوم، ولعلّ من الطبيعي عند الاطلاع على هذا النمط العالي من الرسائل أن ينصرف الذهنُ إلى عدد من مثقّفي البصرة وعلمائها، فتُنسب إليهم الرسائل من باب التخمين لا من باب اليقين، ويدخل في ذلك الباب ما أشار اليه أبو حيّان التوحيديُّ (ت ٤١٤هـ) عندما سأله الوزيرُ البويهيُّ همام الدولة بن عضد الدولة عن زيد بن رفاعة الذي هو واحدٌ من إخوان الصفا ـ كما يقال ـ إذ بيّن التوحيدي وهو يستند : الى السماع قائلاً : إنّي لا أزالُ أسمع عن زيد بن رفاعة قولاً يريبني، ومذهباً لا عهد لي به، ثمّ أطرى على ذكائه وأدبه وعلمه.

وأشار إلى إعلاء هذه الجماعة للفلسفة، وقد حاولوا أن يوفّقوا بين فلسفة اليونان والفلسفة الإسلامية ، ثمّ حاولوا التوفيق بين الفلسفة والشريعة، ومن هذا نلمح أن إشارة أبي حيّان اقتصرت على بعض الأسماء وهو يؤكّد في كتابهِ (الإمتاع والمؤانسة) أنّ الأسماء الحقيقّية لأشهر تلك الجماعات ظّلت مستورةً في علم الغيب، لكنّ الظنون قد حامت على بعض الأسماء، وبعيداً عن الظّن، نرى ضرورَة الوقوف عند نصوص تلك الرسائل، والعمل على استنطاقها وتحليلها، وسيجد المتلقّي ما يمكن أن يكون جواباً لكثير من التساؤلات، ومع هذا، سنسلّط الضوء في بعض ما أثير عن تلك الجماعة، ومنه أنّ إخوان الصفا كانوا على أربع مراتب، كلّ مرتبة في عُمْر معين؛ فالأولى بعمر الخامسةَ عشرةَ، وهم الشباب ذوو الصنائع، والثانيةُ بعمر الثلاثين، وهم أهل الحكمة والعقل، والثالثة من فئة الأربعين، وهم حافظو الناموس الإلهيّ ،والرابعة بعمر الخمسين، وهم من أهل الحقّ، وممّن يقف على أحوال الآخرة، وممّا أشيعَ عنهم أنّ لإخوان الصفا مندوبين يحملون

أفكارهم ويستميلون الناس إلى مذهبهم، وكانوا يرغبون في أن تصل أفكارُهم إلى أصحاب الجاه والسلطة والمال؛ ليكونوا على بيّنة في أنّ استتارهم كان تقيّةً؛ خشيةً من البطش والأذى الذي يتهدّدهم من السلطة الفاسدة، وحتّى من بعض رجال الدين ومثّقفي السلطة، وهم بهذا يؤكّدون أنّ الوقت الملائم للثورة والعصيان لم يحن بعدُ، وما أمامهم اليوم إلّا العمل على تثقيف العقول وتهذيب النفوس والدعوة الى المحّبة والصفاء وإزالة ما لحق بالناس من الجهالات والضلالات.

لقد كان العصر الذي كُتبتْ فيه تلك الرسائل عصُر اضطهاد وظلم وفساد، إلّا أنّ الحركة الفكريّة قد شهدت فيه نشاطاً متميّزاً؛ بعد أن دخلت الكثير من العلوم إلى العربيّة، فاحتدم الجدل حول الكثير من الأمـور، وازدهـرت المعرفة وتطور البحث وتنوع التأليف، وكـان الخلفاء يقرّبون العلماء والأدبـاء ويكلّفون عدداً منهم لتأديب أبنائهم، لكنّ هذا التطوّر العلميّ قد صاحَبَهُ أنتكاسٌ في السياسة؛ فضعفتْ الدولة إلى درجة أدّت إلى ظهور اضطرابات سياسيّة هنا وهناك، وكان العلويّون أكثر من حمل لواء التغيير ومحاولة الانفصال عن الدَّولة العباسيَّة، فقامت الدَّولة الفاطميّةُ في مصر، والبويهيّة في بلاد فارس، والدولة الحمدانيّةُ في سوريا، وغير ذلك في بلدان أخرى، أمّا إخوانُ الصفا، فلم يجدوا الوقت مناسباً لاستثارة النفوس وتحقيق مايرومون، فوجدوا أنَّ ما يناسبهم الآن تهذيبَ النفوس وتعميقُ الرغبة في الإصـلاح إلى أن تحين الفرصة المناسبة للثورة، وأثبتت حركتُهم الاصلاحّيةُ التي تحمل جذور ثورة مؤجّلة على أمور كثيرة بيّنا بعضها، ومنها:

التوفيق الفكريُّ يتبنّى أكثر من اتّجاه فكريّ.

التوفيق المذهبّي وعدم وضع حدود من الكراهية بين مذهب وآخر.

التوفيق الديني، وهم أوّل من نادى في البصرة بتوحيد الأديان؛ ليؤكّدوا بذلك أنّ الاسلام هو دين المحّبة والتسامح.

إنّ هذه المبادئ وتلك الروح الثورّية التي تجنح نحو البناء والتغيير كانت واضحة عند الشيعة، وكانوا الأكثر حراكاً في البصرة، ولذا، فقد قابلهم العباسّيون- شأنهم شأن الحكومات الجائرة- بالقسوة والبطش؛ فمنهم من قُتل، ومنهم من هاجر بعيداً، ومنهم من أودع السجن، أكبرُ شاهد على ذلك أنّ الإمـام الحـادي عشر الحسن العسكريّ (عليه السلام) قد مات مسموماً بتحريض من المعتمد العباسيّ، ثم بدأت الغيبةُ الكبرى لصاحب العصر والزمان الحّجة بن الحسن (عجل الله فرجه) في سنة(٣٢٩هـ) وفاقاً لأرجح الروايات، وفي هذه الغيبة احتجاجٌ عظيمٌ على شيوع الفساد والظلم وسيطرة حكومات الجور، كما أنّ فيها ثورةً مؤجّلة لإقامة حكم الله في الأرض.

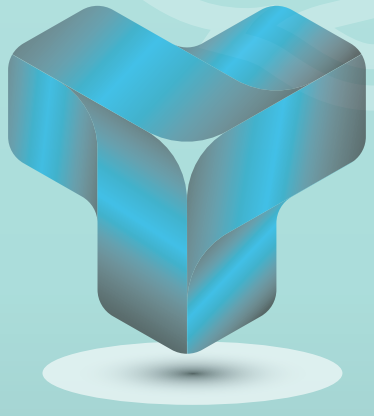

إنّ جماعة إخـوان الصفا في أفكارهم وفي ثـورّيتـهـم وفي تخفّيهم لا يذهب بالتصور إلى أنهـم بعيدون عن مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وفي رسائلهم وجدنا أنّهم لا يصلون الصلاة البتراء على سيّد المرسلين نبينا الكريم (صلى الله عليه وآله). وأمّا اتهامهم بالاعتزال أو الارتزاق أو غير ذلك، فإنّها افتراءات؛ لمحاولة إبعادهم عن جادّة أهل البيت(عليهم السلام)، ولا ننكر أنّ لهم اجتهاداتٍ في بعض الأمور سنقف عندها في تحليلنا لعدد من رسائلهم فيما يأتي من الأعداد القادمة لمجلة الخطوة إن شاء الله تعالى.

بغداديٌّ بصراويٌّ أم بدويٌّ متحضّر؟

عادل علي عبيد

بعد مشادّة حدثت مع الأستاذ المؤرّخ (حامد على البازي) حول عبارة أطلقها بحقّي تقول : (كِلْمَن إجه وكتب عن التاريخ)، أتذكّر واعترف أنّني كنت حينها ـ وللأسف ـ جريئاً ومتهكّماً أمام ذلك الشيخ العريق العتيق لأقول له : (صدقت يا هيرودوتس العراق)؛ فما كان من موظّفة الدار الوطنيّة (إقبال) ـ التي كانت قرب شركة (باتا) مقابل المحافظة القديمة ـ أن تلتمسني بتقديم اعتذاري لأستاذنا البازيّ ، فقبلتُ ، ولكنّه أخبرها أنه (عشائريُّ الطبع) ويطلب فصلاً عشائريّاً ، ولقد عجبت حينها وصديقي الراحل فاضل حسن الكعبيّ، لاسيما والعبارة غير رائجة وقتذاك ! فقبلتُ ، وقال : إن (فصلي) أن أكتب مقدّمة كتابك الذي كان سبب خلافي معك ، وفعلاً قدَّم الكتاب ، وقدم لي كتاباً آخر .

وحدث أنّني كنت أمرُّ على داره في البصرة القديمة لأتسلّم مسوَّدة التقديم وأقدّمها الى مطبعة الإرشاد في بغداد ، فطلب منّي مرافقته إلى مكتب المرحوم (عبد البطاط) ، وأظنُّه كان يعمل في نقابة المعلمين ، وعرّفني عليه ، وعلمت أنّه مراسلٌ لجريدة (القبس) الكويتيّة ، بعدها رافقتُ المؤرّخ البازيّ الذي كان محبّاً للمشي إلى مكتبٍ لعمل (الكلايش) ، فعرَّفني على (مهدي البدويّ)، ولكنّني قلت له: أنا أعرفه ويعرفني ، لاسيما وكلّ باجات القوّة البحريّة ومجلتها ، وباجات أكاديمية الخليج العربي، والشعارات التي كانت تعلَّقُ في الواجهات، هي من عمل هذا الرجل ، كنتُ أبصر أنَّ أصابع البدويّ تنزفُ دماً، وهناك جروح واضحة على يده ، فعلّل لي ذلك أنه يشتغل في (الكلايش)، التي كان يُغرقها في التيزاب (حمض النتريك) .

كان البدويُّ يجمع (الأنتيكات) ، لاسيّما النقود والمسكوكات القديمة ، ويعرضها في مشجب متواضع ، وهو للمناسبة يزور بإلحاح سوق الصفافير في بغداد، والكلُّ أصدقاؤه ومن معارفه .

ذات مرة أبصرتُ عملةً نادرة جداً من بين العملات كان لا يعرفها ، فحدث أنّني همستُ للبازيّ قائلاً : أستاذ (أبا استقلال)، هل تعلم أنَّ الذي أراه أمامي شيءٌ عجيب ؟ فرد عليّ: وما هو ؟ قلت:إنّه الدرهم الأمويُّ ، وهو تحفةٌ شبه منقرضة ، فما كان

من (أبي مثنّى) البازيّ إلّا أن قال للبدويّ : اعطني هذه العملة ، وبدأ ينظر إليها بتجاهل ، لكنَّ البدويّ أحسَّ بقيمتها بعدما كان يرقب تهامسنا . ودعناه ورجعنا إليه بعد يومين عازمين على أن نحظى بهذه التحفة النادرة ، لاسيّما وقد أخبرني البازيُّ أنّه اتّصل بالكاتبة المندائيّة المبدعة (ناجية مراني)، التي ستكون حلقة الوصل في إيصال الدرهم إلى المتحف الوطنيّ ، وهناك جائزةٌ لمن يقدّم مثل هذه التحفة النادرة ، وهنا جال نظري و البازي حول مكان العملة ، لكنّنا لم نجدها ، فتعجّبنا، واستفسرنا عنها، فأجابنا البدويّ مبتسماً: بعتُها ، فردَّ البازيّ بقوّة ، ولكنّك لا تعرفها ، فرد عليه فوراً: بل عرفتها ، وإنّها لا تقدّر بثمن ، وحين نقلتُ الخبر إلى أستاذنا الراحل الكبير القاصّ كاظم الأحمديّ الذي كان يعنى بالتحف والنقود النوادر ونفائس الأنتيكات ، صفَّق بقوّة وقال لي : إنّي أحملك هذه العجالة يا (عادل)، وبقي يلوم – كعادته – بقوّة .

(البدويّ) الذي صار صديقاً ، من البغادة الذين سكنوا البصرة وأحبّوها بلّ قل: عشقوها بقوّة ، يقول : إنّني أصغر متقاعد في العراق ، دخلت الجيش وكانت الحرب كعادتها مستعرة ، فشاركت في واحدة من حروبنا العبثيّة دائماً ، وأصبت في إحدى المعارك ، ورحت أعاني من هذه الإصابة واختلقُ الاعذار بالتمارض ، لأنّي لم أجد أنّ ظروف الجيش تتناسب وطموحي وتطلّعي ، ولي اهتمامات فنيّة راحت تزاحمني في تلك الفترة ، في إحدى أسواق بغداد التقت والدتي المتعلّمة مصادفة الزعيم عبد الكريم قاسم ، والتمسته أن يخرجني من الجيش ، فوافق ، وجعل لي تقاعداً ، علماً أنّ خدمتي كانت قليلة جداً . فانا اصغر متقاعد في العراق على حدّ قول مدير التقاعد .

اطلقتُ العنان لأصابعي المرتجفة بعدما سكن قلقها ، فراحت تخطُّ متأثّرة بكبار الخطاطين ، وصار لي مدرسة في الخطّ تستظل بالآدمي وهاشم البغدادي الخطّاط ، وترجمتُ تطلّعاتي في مجلات عملت بصفحاتها ، وأسهم في تصميم العديد من الصحف حسبما اخبرني القاصُّ الراحل عبد الحسين الغراويّ، الذي كان يزوره ويجلس في محلّه القديم قرب مطبعة شطّ العرب . المتفرج والطليعة والثغر والفكاهة والموانئ والبحرية واكاديمية الخليج العربيّ للدراسات البحريّة وغرفة التجارة .. ورحت ازجّج الخطّ ، وأحفر على الحجر ، وانقش على شواهد القبور المرمريّة والحجريّة ، وأسهمتُ في أغلب النقوش والمانشيتات والدلالات البصريّة ، لاسيّما (لو كو) البحريّة والموانئ وناقلات النفط والأسماك وشركة نفط البصرة المحدودة ومديرية التمور وغيرها ، ناهيك عن ابداعي في كلّ الخطوط بما فيها فنّ الجرافيك التصميمي...

عندما تعرَّضت ابنتهُ الطبيبة إلى حادث اودى بحياتها ، تغيَّرَ حال البدويّ الموغل بالشباب ، وراح يشكو من أمراض وتعب ، وراح يكثر من ذكر ابنه المغترب في أوربا ، هكذا كان يحدّثني عندما ألتقيه في محلّ المصمم المعروف قيس الربيعيّ ، حتّى أنّني ذكّرتهُ يوما بالدرهم الأموي، فأجابني : إنّ الحوادث كثيرة ، وإنّ النفائس واللقى التي حصل عليها كثيرة أيضاً ، ولكنّه لم يعبأ بها يوماً . وداعاً مهدي البدويّ .

الطبيب الجرّاح الدكتور محمد الجوهر

في ضيافة (الخطوة)

حاوره : ولاء سباهي

تحرصُ العتبةُ العبّاسيّة المقدّسة على توثيق الشخصيات والرموز والأعلام البصريّة ، من خلال الوقوف على تجاربهم ومنجزهم وعطائهم .. بوضع هذه التجارب أمام القرّاء الكرام ، والمهتمّين والمتابعين ؛ بغية الإفادة منها ، والاقتداء بها ، وتحاول (الخطوة) أنْ تمسح الخريطة البصريّة العامرة بالعلماء والشخصيّات والأدباء والكتّاب والمثقفين؛ تجسيداً وترسيخاً للرسالة التي تنطلق منها، ونزولاً إلى ترجمة ما تتطلّع إليه العتبّة المقدّسةُ وحصره ضمن دائرة الفائدة والمنفعة ، وتستضيف في هذا العدد قامةً علميةً من القامات البصريّة، وشخصيّةً عصاميّةً تركت بصماتها واضحةً جليّةً على تاريخ الطبّ في البصرة، وما يزال عطاؤها مستمراً ، ضيفنا هو الدكتور محمد حسن الجوهر.

من هو الدكتور محمّد الجوهر ؟

محمد الجوهر إنسانٌ بسيط وُلد عام (١٩٥٥م) ، من قضاء أبي الخصيب ، منطقة حمدان ، كان والدي (رحمه الله) يشتغل عاملاً في معمل السينالكو ، وأنا واحدٌ من بين (١٢) فرداً في العائلة ، أربعة منهم أولاد ، والبقية إناث.

ترعرعتُ في بيئة فقيرة ، كان الوالد عاملاً ،وكان جميع إخوتي طلاباً ، كنّا جميعاً نُعينه بعد عودته من العمل في أعماله الخاصّة ، أو في بستان دارنا الخاصّ .

اشتغلتُ عاملَ بناء حتّى المرحلة الرابعة من دراستي في كليّة الطب ، أستطيع أن أقول وأفخر ، من إنّني عصاميٌّ ، كّونت نفسي بجهود عائلتي وجهودي الشخصيّة .

أنهيتُ دراستي في كلّيّة الطبّ بجامعة البصرة في العام (١٩٧٨م) ، وكنت من الأوائل ، الأمر الذي جعل تعييني على ملاك الكليّة المذكورة . في (٢٧-٧-١٩٧٩ م) ، عُيّنت كمُعيد في

ذات الكليّة ، وبعدها اكملتُ الدراسات العليا ، ثّم البورد العربيّ بالجراحة العامّة في العام (١٩٨٨م) بدرجة جيد.

مارست مهنتي في مشافي البصرة وبغداد بدرجة دكتور جرّاح في المستشفى الجمهوريّ، وتحديدا في البصرة ، وبتخصّص المجاري البولية والبروستاتا والحَصى .. وحينها عَرفت أنّ هذه الأمراض من المنتشرات جدّاً في مناطق البصرة والمنطقة الجنوبيّة تحديداً .

وعلى مستوى الجامعة ، أنا تدريسيٌّ في مجلس الكليّة منذ العام (٢٠٠٧ م)، وحتى تقاعدي في العام (٢٠٢٠م)، ثمّ عُيّنت رئيساً لفرع الجراحة ، وللأسف أقول : إنّ في هذه السنة هاجرت كفاءاتٌ عاليةٌ ومحترمةٌ ومن اختصاصات وكفاءات مختلفة ، غادرت خارج إلى الوطن ، كان الأولى بالدولة أن تحتضنها وتسعى إلى لملمتها ، وتفيد من توجّهاتها وعلومها ، واكـرّر اسفي أنّ من بين هذه الكفاءات تخصّصات طبيّة ومختبريّةٌ وعلاجيّةٌ معروفة .

عقدت مع المستشفى الجمهوريّ عقدا للعمل المجانيّ كجرّاح في الجناح الخـاصّ والعام ، وهنا أشير إلى أنّ الوضع المـادّيّ للمريض وفق ما وقفت عليه هو وضع مزر وصعب ، يحتاج من الطبيب أن ينزل ويتواضع إليه ، وهو أمرٌ مرتبط بتوجّهه الانسانيّ، وهو ما يؤلّف المحوَر الرئيس والأساس لمهنة الطب ، ولعلّ الأمر يحيلنا هنا إلى الأدوار الكبيرة والدروس التي رسّخها أميرُ المؤمنين الامام عليّ (عليه السلام) في هذا المجال الانسانيّ .

وماذا عن طفولة الدكتور الجوهر ؟

مدرسة الحمزة الابتدائيّة هي المدرسة التي تعلّمت فيها ، وبعدها متوسّطة حمدان ، وإعدادية أبي الخصيب عام(١٩٧٢-١٩٧٣)، كنت الأوّل على المدرسة ، كانت المدارس جميلةً على الرغم من أنّ صفوفا تلحق بها مبنية من الطين والقصب والبواري، حتّى كنّا نرى خرير ماء المطر من سقوفها المتواضعة ، كانت الأمطارُ آنذاك اغزر من الامطار الآن .. أمّا الأبنية، فكانت من الطابوق أو اللبن

، والسقوف من جذوع النخيل ، كانت حال بيوتنا طينية ! إلّا أنّها باردة ؛ كون الطين يساعد على عزل الحرارة أكثر من الاسمنت .. أتذكّر أنّني بعد تخرّجي اشتريتُ مبرّدةَ هواء لدارنا الطينيّة في نهاية الستّينات ، ثمّ ثلاجةً على شكل صندوق نضع فيه الثلج والأطعمة التي تحتاج إلى حفظ وتبريد.

هل كان للعائلة دعمٌ أو مساعدة أو دورٌ فيما وصلتم إليه ؟

بالتأكيد ، على الرغم من أن أبي وأمي لم ينالا حظاً وافراً من التعليم ، إلّا أنّهما كانا يحثّاننا على الدراسة ، ويراقبان دراستنا ودرجاتنا ، ويسألان عن واجباتنا ، بل عن كلّ صغيرة وكبيرة في المدرسة ، كنّا نشعر بهذا الاهتمام وتلك العناية الابوية الاستثنائية والرعاية المسؤولة ، أقول : لطالما شكّل هذا الأمر ليّ ولبقية إخوتي حافزاً لأن نكون من الناجحين في دراستنا ، ولله الحمد ، بل كنّا من الأوائل بجهودهم وحرصهم ومتابعتهم الجادّة والحثيثة ..

مارست الصيد ، وعملت في الزراعة والبناء ، هناك مفارقاتٌ كثيرة أستحضرها هنا ، أتذكّر أنّ صديقاً مهندساً لي اسمه (صالح) اشتغلنا معاً كعمّال بناء بنقل صناديق (الكاشي) ، كنا نحملها من مخازن في منطقة مقبرة الانكليز في الحكيميّة إلى

المستشفى الجمهوريّ ، وكان هناك رجلٌ يشرف علينا ، عملنا لفترة طويلة ، لكنّ شاءت الظروف أن أعمل طبيباً في هذه المستشفى ، ويكون صديقي المهندس هو من أشرف على بناء بعض الردهات، ويصبح مسؤولُ العمل الذي كان يشرف علينا سائقي الخاصّ في المستشفى المذكور ، كنّا ثلاثتنا نستحضر هذه الحادثة ونضحك بودٍّ كالإخوان المحبّين .

من هو المثل الأعلى للدكتور الجوهر ؟

اعترف بأنّني كنت متأثّراً جداً بطبيب عمل في مستوصف مهيجران ، كان بحقّ مثلا في الأخلاق والتواضع والمهنيّة والتخصّص ، إسمه الدكتور (فتحي)، خرّيج موسكو ، كنتُ في الصف الخامس والسادس الاعدادي التقيه ، كان يحدّثنا عن الدراسة في الاتحاد السوفيتي ، ويحثني على الدراسة والمواصلة .

بعدها التقيتُ طبيباً آخر كان مديراً لمستشفى أبي الخصيب اسمه (محمد صادق العدناني) ، وللمناسبة هو خال الدكتورة المبدعة (ميعاد كاظم حسن)، كنّا نقضي وصديقي الدكتور (عدنان الأسدي) أوقاتاً طويلة في عيادة هذا الرجل ، وكان يُعّرفنا على بقيّة الاطبّاء والممرضين ، ويشرح لنا بعض الأمور ببساطته المعهودة ، ولقد كان هذا الأمرُ عاديّاً ومنتشراً ، على عكس ما نراه الآن ؛ إذ كان الطبيب يثير فيك حالةً من الطموح والدأب نحو أن تكون مثله ، ويشجّعك على ممارسة مهنة الطبّ . كان أهلُ حمدان جميعاً يحترمون هذا الطبيب ويحبّونه كثيراً ، لاسيّما وهو من عائلة ميسورة تسكن الكاظميّة المقدّسة في العاصمة بغداد .

أحبُّ أن أشير هنا إلى أنّني قد أدركت الطبيب محمد صادق العدناني يوما ، كان رئيس قسم (الباثولوجي) في كلية الطبّ في البصرة ، وكان أديباً شاعراً مثقّفا ، تُوفّي في انكلترا (رحمه الله) .

لو لم تكن طبيبا ماذا كنت تمتهن ؟

كان طموحي أن أكون مهندساً أو معلّماً ؛ لأني ـ كما أسلفت ـ عملت في البناء وأحببته ، اتذكّر هنا أنّني اشتغلتُ كعامل بناء في المستشفى الجمهوري في الردهة الثالثة ، وقاعة التشريح ، ومركز التدرّن ، وكنت حينها في الصف الخامس الإعدادي، كنت وأحد أصدقائي ـ الذي صار مهندساً معروفاً ـ ننقل كاشي هذه الأماكن التي ذكرتُ من معمل كاشي كاظم حلّاوي إلى المستشفى ، إلّا أنّ المصادفة جعلتني واحالتني لأن استذكر هذا الامر مع صديقي المهندس بعد سنين؛ ونحن نسير على هذا الكاشي الذي اشتركنا ببنائه يوماً ، ولا تعجب ، فإلى حد هذه الساعة موجود ذات الكاشي في ذلك المكان .

وماذا عن مرحلة الدراسة الطبّية وبحث التخرّج ؟

أنا بورد جراحة في(١/ ١٠/ ١٩٨٤م)، وبورد عربي في العام(١٩٨٨م) ، أنتم تعرفون أنّ دراسة البورد تشمل فعاليات عديدة ومتنوّعة ، عمليّة ونظريّة وتوثيقيّة .. كان بحثي عن جراحة القولون ، ولقد تشرّفتُ بأن عملتُ مع الدكتور خالد العبيديّ ، وكان حينها مديراً للمستشفى التعليميّ في البصرة ، وقد شاركني في بحثي ، وكان مشرفاً عليّ ومن قبلِه الدكتور الجرّاح المرحوم حسن الاسكافيّ ، كان البحث يدور حول (جراحة القولون) .

بودّنا أن نتعرّف على أهمّ المشاركات في المؤتمرات والملتقيات العلميّة التي شاركتم فيها .

استقبلت البصرةُ الكثير من المؤتمرات في محاور وموضوعات كثيرة ، لعلّ من أهمّها الأورام والجراحة والحروق ..كنتُ مشاركا فيها ولله الحمد ، أمّا على مستوى المشاركات الخارجيّة ، فشاركتُ في مؤتمرات في اسبانيا والامارات العربيّة المتحدة والأردن ، ولي فيها بحثٌ عن جراحة الثدي ، وفي انكلترا في العام (٢٠٠٦م) لمدّة شهر واحد ، ولي فيها بحث عن جراحة الغدّة الدرقيّة ، وبحثٌ عن الأكياس المائيّة في الكبد ، وعدّة بحوث منشورة في مجلّات إسلامية في السعودية وتركيا ، وستّة بحوث أخرى منشورة في دوريّات طبّيّة مختلفة ، وثمانيةُ بحوث عن الأكياس المائيّة ومعالجتها ، وإثنان وعشرون بحثا عن الغدّة الدرقيّة وأمراض الثدي ، لكنّ أهم هذه البحوث هو بحث عن سرطان الثدي ، وعن علامات السّرطان (سرطان الثدي على شكل خراج الثدي)، منشور في مجلّة البصرة الجرّاحيّة، التي أشرف عليها الأستاذ الدكتور ثامر حمدان عام (١٩٩٧م) ، وبعده بحثٌ عن سرطان الغدّة الدرقيّة ، وكنت والدكتور مشتاق أبو ليث قد جمعنا حينها (١٠٠٠) حالة للغدّة الدرقيّة ، وهو الذي أكمله الدكتور المذكور كبحث في جامعة (كامبردج) .

هل أسهمتْ كليّةُ الطبّ في البصرة بتقديم خدماتها إلى أهل البصرة ؟

بالتأكيد ، قامت هذه الكليةُ بعمل كبير، وقدمت خدماتٍ جليلةً إلى أهل البصرة ، وعلى مستويات متعدّدة ، ولها فضل لا ينسى على ديمومة المشهد الطبّيّ وتحسينه والارتقاء بالطبيب وتطوير أدواته .

ما هي نصيحتُك وتوصياتُك للأطبّاء ؟

أنا من الاطبّاء الذين يؤكّدون أنّ غنى النفس هو من أهمّ المقوّمات التي تصنع الطبيب الناجح ، لي زمنٌ طبّيٌّ يتعدّى خمسين سنة ، عرفت أنّ الأخلاق التي يتمتّع بها الطبيب هي الرقم الأوّل الذي يؤلّف قيمة النجاح للطبيب ، كما أنّ تواضع الطبيب دليل وشاهد على انسانيّته ومهنيّته ، ولا بد لنا هنا من أن نقتدي بسيّد الأوصياء الإمام علي (عليه السلام) وثوبه المرقّع الذي استحى من راقعه ، حتّى أناطَ مهمَّة الرقع لابنه الحسن (عليه السلام)، وهو خليفة رسول الله .. كما أنّني أجزم أنّ المال لا يؤلّف كلّ شيء ، وأنَّ السمعة الحسنة والطيبة هي رأس مال الطبيب التي لا تعادلها كلُّ أموال الدنيا ، أستطيع أن أقول إنّ على الطبيب أن يكون صديق الجميع ، وأن يكون حيادّياً ؛ لأنّه إنسانُّي النزعة ، والإنسانيّة فوق كلّ شيء .

ماذا يقرأ الدكتور الجوهر ؟

أنا أميل إلى قراءة كتب التاريخ ، المعارك والفتوحات، وتاريخ الأمم، والحضارات، أنظرُ الى كيف وصل الإسلام إلى أصقاع ممتدّة من المعمورة ، وأجزم بأنّ الأخلاق قد سبقت السيف في هذا المجال ، من خلال الاخلاق حلَّ الدين وانتشر ، كما أقرأ لبعض المؤلّفين العراقيين من أمثال الدكتور علي الوردي ، وكتب الاقتصاد ، وقد أهداني ـ أخيراـ أحد الأصدقاء كتاباً في الاقتصاد من تأليفه . كما أقرأ الشعر ، وقد أهداني صديق آخر كتاباً عن المتنبّي، الذي أعتزّ بشعره كثيراً ، ولي قراءات متنوّعة .. أقول من خلالها إنّها تصنع شخصيّة الطبيب ، وتجعله مواكباً لكلّ معطيات العصر .

ما هو رأيكم بمشروع العتبة العبّاسية المقدّسة بتوثيق أدوار الكفاءات العلميّة ؟

خطوة مباركة ومشكورة ، وأتمنّى هنا أن نحرص على توثيق أدوار المبدعين الأحياء ، على غير ما جبلت عليه التقاليدُ القديمة، التي تحتفي بمن فارقونا إلى الدار الآخرة ، لا سيّما والأمر هذا يُسهم بعملية التحفيز والتشجيع والحثّ على العطاء والعمل وتعزيز الانتاج ، لاسيّما والمشهد الطبيّ وغيره من المضامير يضجّ بالأسماء والعناوين المبدعة التي أفصحت عن حضورها في مختلف الصعد العلميّة والمعرفيّة والفكريّة .

الملامح البارزة للوجود المبارك للإمام الكاظم (عليه السلام) في مدينة البصرة

الدكتور: جواد كاظم النصر الله

لقد قضى الإمام الكاظم (عليه السلام) عاماً كاملاً في سجن البصرة[1]، وعلى الرغم من أنّ هذا الوجود المبارك قد قُيّد وراء قضبان السجن وغيّب في ظلماته، إلّا أنّ الإمام (عليه السلام) تمكّن من إيصال عطائه منطلقاً من وراء تلك القيود، ليعمّ خيرهُ على أهل البصرة. ويمكن إيجاز الملامح البارزة لوجوده المبارك (عليه السلام) وتلخيص ذلك النشاط من خلال النقاط الآتية:

١- انقطاع الإمام (عليه السلام) للعبادة، فكان قد دأب على طاعة الله، يصوم نهاره ويقوم ليله، وقضاء جلّ وقته بالدعاء والصلاة والسجود؛ إذ لم يسأم من السجن، بل عدّه من أعظم النعم، وقد سمعه أحد الجواسيس يقول في دعائه: «**اللّهم إنّك تعلم أنّي كنتُ أسألك أن تفرّغني لعبادتك، اللّهم وقد فعلت فلكَ الحمد**»،[2] إذ كان الدعاء والعبادة سلاحاً أرهب أعداءه، وقد خلّف لنا تراثاً ضخماً في هذا المجال.

٢- لما انتشر خبرُ اعتقال الإمام (عليه السلام) بين أهالي البصرة، هبّ إليه الناس من العلماء وغيرهم؛ لغرض الاتصال به سرّاً وجهراً، كـ (ياسين الزيّات) الضرير، الذي روى عنه، وصنّف كتاباً نهل محتواه من لقائه بالإمام (عليه السلام)[3].

وممّن اتصل بالإمام محمدُ بن سليمان النوفليُّ راوي حادثة القبض على الإمام (عليه السلام) في المدينة وتسييره إلى البصرة وسجنه فيها، ويظهر أنّه أخذ تفاصيل ذلك من الإمام (عليه السلام).

ولم ينجُ الإمامُ (عليه السلام) من الوشاية في البصرة؛ فقد روى محمدُ بن سليمان النوفليُّ[4] أنّ إحدى الشخصيّات العبّاسيّة المناوئة له - وهو عليّ بن يعقوب- [5] كتب لعيسى بن جعفر يعاتبه على تقديمه النوفليّ، ويتّهم النوفليَّ بأنّه من أتباع الإمام موسى بن

جعفر (عليه السلام) ، إلّا أنّ عيسى بن جعفر لم يحفل بذلك، وعدَّ ما صدر عن عليّ بن يعقوب هو حسداً للنوفليّ، ويظهر من خلال حوار الفيض بن أبي صالح مع عيسى حول هذه التهمة، أنّ عيسى ينفي ذلك عنه؛ إذ أنّه لم يجد عنده ما يشير إلى ذلك على الرغم من أنّ عيسى لا يخلو بأحدٍ قدر ما يخلو بالنوفلي[٦]، وهذا يشير إلى مدى السريّة التي يعمل بها أصحاب الإمام (عليه السلام) في البصرة، خوفاً من السلطة العبّاسيّة، التي لا تألو جهداً في الضرب بيدٍ من حديد على كلِّ خارج عن سلطتها وفكرها.

قال القرشيُّ: «ولمّا شاعَ اعتقالُ الإمام (عليه السلام) في البصرة، أقبل علماؤها ورواةُ الحديث إلى الإمام، فاتصلوا به من طريق خفيٍّ، وقد رووا عنه بعضَ العلوم والأحكام... واتصل به جماعةٌ من العلماء البارزين، فرووا عنه الشيء الكثير مما يتعلّق بالتشريع الإسلاميّ»[٧].

ويظهر أنّ أخبار حال الإمام (عليه السلام) كانت تصل للحاكم العبّاسي أوّلاً بأوّلٍ، ولا بدّ من أنّه علم بموقف الوالي منه، ولقائه بالبصرّيين، ولا نستبعد الوشايات والسعايات ضدّ الإمام (عليه السلام) ، وكذلك ضدّ الوالي ممن يتمنّى عزله عن منصبه وتولّيه مكانه، فيجعلون من تساهله مع الإمام عذراً للوشاية لدى الحاكم العبّاسي، فعندها أمر الحاكم العبّاسي الواليَ بقتل الإمام (عليه السلام)[٨].

إلّا أنّ الواليَ استشار خواصّه في ذلك، فحذّروه من مغبّة هكذا فعل، فاستصوب آراءَهم، وكتب للحاكم العبّاسي يستعفيه من ذلك قائلاً: «يا أمير المؤمنين! كتبت إليّ في هذا الرجل، وقد اختبرته طولَ مقامه بمن حبسته معه عيناً عليه لينظروا حيلته وأمره وطويّته ممّن له المعرفة والدراية، ويجري من الإنسان مجرى الدم، فلم يكن منه سوء قطّ، ولم يذكر أميرَ المؤمنين إلّا بخير، ولم يكن عنده تطلّع إلى ولاية، ولا خروج، ولا شيء من أمر الدنيا، ولا دعا قطّ على أمير المؤمنين، ولا على أحدٍ من الناس، ولا يدعو إلّا بالرحمة والمغفرة له ولجميع المسلمين، مع ملازمته للصيام والصلاة والعبادة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني أو ينفذ من يتسلّمه منّي، وإلا سرّحت سبيله، فإنّي منه في غاية الحرج»[٩].

عند ذلك سارع هارون بأمر عيسى بن جعفر بإرسال الإمام إلى بغداد فوراً؛ خوفاً من إطلاق سراحه، فحُمل الإمام بطريقة قاسية إلى بغداد[١٠]، وفي بغداد بدأت رحلة جديدةُ لحليف السجون من سجنٍ إلى سجنٍ، حتّى استشهد بالسمِّ في سجن السنديِّ بن شاهك[١١] في(٢٥) رجب سنة (١٨٣هـ)[١٢].

الهوامش

١ ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة: ص٣٠٨.

٢ المفيد: الإرشاد: ٢/ ٢٤٠.ابن الفتال: روضة الواعظين: ص٢١٩.ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٤٣٣.الإربلي: كشف الغمة: ٣/ ٢٥.ابن الصّبان: الفصول المهمة: ٢/ ٩٥٤.

٣ النجاشي: الرجال: ص٤٥٣.

٤ محمد بن سليمان النوفليّ: يعدّ من أصحاب الإمام الكاظم (عليه السلام) من أهل البصرة، وصف بكثرة العلم. أبو حيان: أخبار القضاة: ٢ / ٩٤، ابن ماكولا: إكمال الكمال ١ / ١٨٨، الخوئي: معجم رجال الحديث ١٧ / ١٤٤، النمازي: مستدركات علم رجال الحديث ٧ / ١٢٠، الجواهري: المفيد من معجم رجال الحديث ص٥٣٤، محمد بن حياة الأنصاري: معجم الرجال والحديث ٢ / ٨٥.

٥ هو علي بن يعقوب بن عون بن العباس بن ربيعة بن عبد المطلب. لم أجد له ذكراً إلا في رواية النوفلي في أعلاه التي ذكرها الصدوق، وعدّ النمازيُّ جدَّه ربيعةَ بن عبد المطلب، ولم يتّضح لنا مستنده في ذلك. ينظر: الصدوق: عيون أخبار الرضا ٢ / ٨٣، وتقلها عنه المجلسي: بحار الأنوار ٤٨ / ٢٢١، واقتصر النمازي في ترجمته على إضافة عبد المطلب لنسبه عما جاء عند الصدوق= =مستدركات علم رجال الحديث ٥ / ٤٩٩.

٦ الصدوق: عيون أخبار الرضا (عليه السلام) . ٢ / ٨٣.

٧ حياة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ٢ / ٤٦٧.

٨ ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة ص٣٠٨.

٩ القرشي: حياة الإمام الرضا(عليه السلام) ١ / ٨٠، وينظر باختصار: ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة ص٣٠٨.

١٠ الصدوق: عيون أخبار الرضا(عليه السلام) ٢ / ٨٣، ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة ص٣٠٨، القرشي: حياة الإمام الرضا(عليه السلام) ١ / ٨٠ .

١١ وصف هذا الرجل بكونه شرّيراً، لم تتمكّن الرحمة من قلبه، لا يؤمن بالقيم، وتنكّر للإمام ومكانته، وقابلَه بكلّ قسوة وجفاء في مأكله ومشربه، وقيّدهَ بثلاثين رطلاً من الحديد. القرشيّ: حياة الإمام الرضا (عليه السلام) ١/ ٨٦.

١٢ الأشعريّ: المقالات والفرق ص٩٣، النوبختيّ: فرق الشيعة ص٨٥، الصدوق: عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢/ ٨٤. ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة ص٣٠٨.

عبدُ اللّٰه بن المقفَّع
(الرجل .. الأسلوب)

د. محمد أبو الأنوار
إعداد : ياسين اليوسف

نُشر هذا المقال ـ الذي سلّط الضوءَ على شخصيَة أدبيّة تركت بصماتِها الواضحةَ على صفحات التاريخ ـ في مجلّة الهلال المصرية الشهرية ، أول سبتمبر عام ١٩٧٣م، العدد التاسع – السنة الحادية والثمانون – ٣ شعبان ـ عام ١٣٩٣ هـ، وهنا نعيد نشره بعد مراجعته لغويّاً لأهميّة هذه الشخصيّة الأدبيّة .

هذا الرجل سيرةٌ وأسلوب..

السيرة تعني مجموعةَ المواقف والاتجاهات والصفات التي تخصّ شخصاً بعينه، وفي كلِّ سيرةٍ لا بدَّ من سماتٍ تميِّز صاحبَ السِّيرة في عقلهِ وشعورهِ، وخلقه ومزاجه، وما يتبع ذلك من أنماط سلوكه واتّجاه غاياته وأهدافه.

والأسلوب -الذي نعنيه هنا- هو مجموعة السمات التي تميِّز صاحبها عن غيره، إنّه النمط الخاصّ الذي يستغرق صاحبَه مهما تغيّرت الظروفُ والأحوالُ والملابساتُ التي يعايشها، والغايات والمناسبات التي تحرّكه، فالإنسان الذي تميّزه صفاتٌ في عمله، وفي منزله، وفي ناديه، وبين رفاقه ، لا بد أن يجد من يريد فهمَه وتحليلَه خيطاً واحداً ممتدّاً يحكم هذه الشخصيّة ويميّزها، هو مفتاح الفهم لها والحكم عليها، في كلّ مجالات حياتها، وملابسات سلوكها.

إنَّ جميع الوسائل الفنّيّة التي يلجأ اليها الأديب في الإفضاء بأفكاره ومشاعره تمثّل ذاتهَ أقوى تمثيل؛ ما دام أديباً يصدر عن عقله وشعوره وخلقه ومزاجه، ولذا، فإنّنا إذا قرأنا آثارَه الأدبيّة، نجد فيها كلَّ سماته النفسيّة والفكريّة والشعوريّة، وهنا تصدق كلمة (بوفون) في دقّتها وروعتها «الاسلوب هو الرجل»، وبذلك، فإنَّ الأُسلوب يعني ـ في النهاية ـ الانطباقَ التام بين السيرة، وما يعادلها أو ما يترجمها ويجلّي منابعها التي تصدر عنها، وغاياتها التي ترمي اليها، وشاراتها التي تختصّ بها..

وينبغي أن نتذكّر جيداً في هذا السياق أنّ الكلمة الأدبية التي تصدر عن تأمّل لها وإيمان بها تتعدّى كثيراً جوانبَ الدلالة المعجميّة، وتنأى أن تقاس بمقاييس الحياة اليوميّة من حولها؛ لأنّها تهدف إلى ما هو أكبر وأعظم؛ ذلك أنّها تمثّل الوجودَ الحيَّ للبعد الداخلي للإنسان في موقف معاناة... وكان ابن المقفع يدمن التفكير والتأمّل حتّى فيما يرويه عن الآخرين أو ينسبه لهم، وكان يجتُّر ذاته إمّا عن طريق ما قاله الآخرون وتأمله وأعجب به، أو عن طريق لمح معان وأفكار أخرى يقدّمها من عنده، ومن كلّ ذلك، فإنَّ الكلمة التي تفيض بها نفسه إنّما هي تعبيرٌ حيّ عن الأعماق البعيدة والسمات الخاصّة التي تميّز شخصيته.

تلميذٌ في حاضرة العلماء

وُلد ابنُ المقفَّع على وجه التقريب عام (١٠٦) أو(١٠٧) للهجرة، وقُتل بين عامَي(١٤٢)-(١٤٥)، ويقال إنّه عاش أربعين عاماً أو قريباً منها، وكان مولدُه بقرية من قُرى فارس اسمها (جور)، وهي المعروفة حالياً بفيروز آباد، وكان اسمهُ بالفارسيّة (روزبه بن داذويه)، ومعنى اسمه (المبارك)، فلمّا أسلم، تسمّى بـ(عبد الله)، وتكنّى بـ (أبى محمد)، ويقال - أيضاً - إنّه وُلد بالبصرة، على أنَّه من المعروف أنَّ بقعة الأهواز التي منها قريتهُ الفارسية قريبةٌ من البصرة..

وتُروى أسبابٌ مختلفة حول إصابة يد أبيه بالعطب أو التقفّع، من بينها أنّ (الحجّاج بن يوسف الثقفيَّ) كان قد ولّاه خراج فارس فاحتجزَ شيئاً من أموال الخراج، فضربه الحجّاجُ ضَرباً شديداً حتى تقفّعت يده، ومن هنا سُمّي كاتبُنا بابن المقفّع...

المهم أنَّ نشأته كانت بالبصرة، وكانت البصرةُ آنذاك حاضرةُ العلماء والأُدباء، ومعروف أنَّ بها أرض (المربد)، حيث المناشدة والمفاخرة والتهاجي، ويكفي أنَّ نعلم أن البصرة قد نبغ فيها عديد من الشعراء والعلماء، منهم: (بشار بن برد، وصالح بن عبد القدّوس، والرقّاش، والخليل بن أحمد، وسيبويه)، وغيرهم من أئمّة الأدب واللغة، وفيها كان (الحسن البصريُّ) يعقد حلقاتهِ، وفيها اعتزله (واصلُ بن عطاء).

نشأ ابن المقفَّع في هذه البيئة العالمة المتأدّبة، وكان ولاؤه في آل (الأهتم)،وهم أهل لسن وفصاحة، ومنهم الشاعر الشهير (عمرو بن الأهتم)، الذي ما زال شعره الجاهليُّ يزحم النفس بالإعجاب، ويقهرُها بما فيه من مثل عليا وغايات نبيلة، وهو الذي تتمثل الأجيال قوله:

« لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها

ولكنّ أخلاقَ الرجال تضيق».

ومن نشأة ابن المقفَّع بالبصرة وفي آل (الأهتم) ندرك أنَّ طريقه إلى التأدّب العالي قد وُجد، ولم يبقَ أمامَ اكتماله ونجحه إلّا أن يكون صاحبَ موهبةٍ في نفسه واستعدادٍ في طبعه، وقد كان ذلك موفوراً لديه إلى حدٍّ بعيد كما أثبتت الأيّام، وليس لدينا في كتب التراجم ما يدلنا على أساتذته وشيوخه، ولكنّ (ابنَ النديم) أشار إلى رجل هو (ثور بن يزيد الأعرابيّ)، وقال إنّ ابنَ المقفَّع أخذ عنه، وهي إشارة لا تعطي شيئا ذا بال، ويبدو أنَّ ابن المقفَّع وَجد في البصرة منهلاً عذباً وأساتذة كثراً، ولكنّه من الوجهة العملية كان أستاذَ نفسه؛ فهو يقول مثلاً:

«شربت الخطب رَيّاً، ولم أضبط لها راوياً، فغاضت ثم فاضت..

وقد سُئل مرّة فقيل له: من أدبَك؟ فقال: «نفسي؛ كنت إذا رأيتُ حَسَناً، أتيته، وإذا رأيتُ قبيحاً، أبيته».

وكان الرجل بحكم نسبه وأسرته يعرف الفارسيَّةَ، ويدين بالمجوسيّة، ومن ثّم كان واسعَ الاطلاع على آداب الفرس وديانتهم المتعدّدة، فجمع بذلك بين الثقافتين العربيّة والفارسيّة، ومن هذا الملتقى جاء دوره الجديد في تاريخ الأدب العربيّ، ويحسنُ بالقارئ الذي يهمّه تحرّي تفاصيل واسعة عن نتاج ابن المقفع الأدبيّ أن يراجع الفصلَ الذي كتبه المرحوم الدكتور (عبد اللطيف حمزة) حول ((تحقيق آثار ابن المقفَّع)) من عربية وفارسيّة.

عندما عظُمت تبعاتُ الحكم في عهد بني أمية، كان الكتّاب للولاة كالوزراء لهم، ولمّا استقر الأمر لبنى العباس، تقرّرت قوانين الوزارة، وسُمّي الوزيرُ بهذا الاسم، وكان من قبلَ يسمّى كاتباً أو مشيراً، و(أبو سَلَمة الخلال) أوّلُ من وقع عليه اسمُ الوزير، وشهر بالوزارة في دولة بنى العباس كما يقول (ابن خلّكان)، وكان من أهم مميّزات الوزير أن يكون مطلّعاً كاتباً بليغاً، ومن ثَّم نرى أنّه كثيراً ما كان يُختار الوزيرُ من بين الكتّاب..

يقول المرحوم الدكتور أحمد أمين: «وكانت ... طائفة الكتاب تؤلّف وحدةً على رأسها الوزير، وتتدرَّج في الرقيّ إلى الوزارة معتمدةً على كفايتها وبلاغتها»، وقد حدث أن وقّع (عمرو ابن مسعدة) على رُقعة رُفعت إلى (جعفر بن يحيى)، فأعجب (جعفرُ) بتوقيع (عمرو)، فضرب (يحيى) بيده على ظهر (عمرو)، وقال: «أيُّ وزير في جلدك».

صناعة الكتابة وفنُّ الأدب

كان على الكتّاب ـ بحكم مواقعهم من دواوين الخلافة ومناصب الوزارة ـ أن يأخذوا أنفسهم بالجدّ كلّه في طلب الثقافة وعلوّ الاستعداد؛ لإبداء الرأي الجيّد والملاحظة الرشيدة واللفتة السديدة، ولا بدَّ لهم من القدرة الدائمة على استيعاب الأفكار وتمثّل المشاعر المختلفة، التي تظهر في دواوين الحكم؛ للتمكن من التعبير عنها بأصحّ الطرق وأنسبها من وجهة نظر الحكّام، وكان الواحد منهم يمكّن لنفسه بقدر ما يملك من البراعة في ذلك كلّه، بل كانت هذه البراعة تفتح لهم أبواب الترقّي إلى الوزارة، لكلِّ هذا، كان الكاتبُ انساناً مشدود الأعصاب دائماً، لا بدّ له أن يأخذ نفسه بتوقّع الأشياء قبل وقوعها، وأن يكون ذا بصر بكلّ ما خفي ودقّ، وكان يأخذ نفسهَ بالتعليم الدائم والاطّلاع الواسع، ويحرص على أن يلمَّ من كلِّ فنٍّ بطرف، ولا مناص له من أن يكون ذا معرفة عالية باللغة وآدابها؛ فإنها وعاء الفكر، ومسرح الخيال، ومستودع المشاعر عندما يراد إبرازُها وتشخيصُها على النحو الصحيح.

وقد أحسّ (ابن قتيبة) بخطر المهمّة الملقاة على عاتق الكتّاب فألّف كتابه (أدب الكاتب)، ومثّل ذلك فعل (أبو بكر الصولي)، ثمّ كان كتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشا)، كلُّ ذلك يدلّ على أنّ صناعة الكتابة كانت من التبعات العلميّة والنفسيّة الهامّة التي تحتاج إلى جد وجهد، وأنّها صناعة فنّيةٌ فرضت نفسها بما لها من أهمية وتميّز...

وعلى مؤرّخ الأدب دائماً أن يلحظ العلاقة بين مهمّة الكاتب في سعتها وتشعبّها وبين معنى الأدب في شموله وسعته في تراثنا الأدبي؛ فإنَّ وظيفة الكاتب التي أوجبت عليه أن يلمّ من كلِّ فنٍّ

بطرف هي التي جعلت الناس يقولون: «الأدب هو الأخذ من كلِّ فنٍّ بطرف»، وكان ذلك – أيضاً– سبباً من الأسباب التي زحمت كتب الأدب بعديد من المعارف المتنوّعة، كما نرى ذلك في (البيان والتبيين) للجاحظ، و(الكامل) للمبرد، و(عيون الأخبار) لابن قتيبة، ومن هنا، اتّسع المعنى الذي تعنيه كلمة (أدب) في تراثنا العربيّ، ومن أهم أسباب هذه السعة صناعة الكتّاب في خطرها، وسعة مهمتها، وكثرة تبعاتها.

مكانٌ في الصفوف الثواني

واضحٌ لمن يقرأ تراث (ابن المقفَّع) أنَّ الرجل كان يجمع بين ثقافتي العرب والفرس، وله فيهما مؤلَّفات ومترجمات .. وجدير بالذكر أنّ نشير هنا إلى أن الثقافة الفارسيّة كانت لها صلات بحكمة الهنود وفلسفة اليونان، ومن هنا، فإنّ ذهن (ابن المقفَّع) قد لقّح بمعارف عديدة أتاحتها له صلته الواسعة بالثقافتين العربيّة والفارسيّة.

وقد بدأ (ابن المقفَّع) وظيفةَ الكتابة وهو في سن العشرين تقريباً، وحينما كان (عبد الحميد بن يحيى) يكتب بالشام لـ (مروان بن محمد) آخر خلفاء بني أمية، كان (ابن المقفَّع) يكتب لـ (يزيد بن عمر) ابن هبيرة، ثمّ لأخيه (داود بن هبيرة) بالعراق، ولمّا انتصر بنو العبّاس، قُتل (داود) في جملة من قتل، ونجا كاتبُهُ (ابن المقفَّع) من سيف (أبي جعفر المنصور)، واستطاع (ابنُ المقفَّع) بعد ذلك أن يأخذ مكانه عند أعمام السفّاح الثلاثة (سليمان، وعيسى، واسماعيل) أبناء (علي بن عبد الله بن عباس).

وقد تأدّب على يدي (ابن المقفَّع) من أبناء (اسماعيل بن علي) عندما كان والياً على الأهواز ثمّ الموصل، ومن ثمّ نجد (الجاحظ) يعدّ (ابن المقفع) من المعلّمين ثمّ البلغاء المتأدّبين، وكانت كتابة (ابن المقفع) لـ (عيسى بن علي) أيّام ولايته على (كرمان) وعلى يديه أسلم، ثمّ كتب لـ(سليمان بن علي) – أيضاً – أيّام ولايته على البصرة (١٣٣-١٣٩هـ) حين عزله (أبو جعفر المنصور) وولّى مكانه (سفيان بن معاوية) الذي قَتَل (ابن المقفَّع) كما سيأتي .

واضح ـ إذن ـ أنّ (ابن المقفّع) رغم مكانته العالية في الكتابة فإنّه لم يأخذ موقعه في الصفوف الأولى، بل كان في الصفوف الثواني، في حماية بعض الولاة يكتب لهم، ويحيا في كنفهم، ولكنّه لم يأخذ مكانه في بلاط الخلافة العبّاسيّة نفسها، وهذا التخلّف في المكانة السياسيّة التي كان جديراً بها هو الذي دفعته إلى أن يشغل نفسه بالترجمة والتأليف معاً؛ ليشيَّد مكانته في عالم الكتابة، ويلفت الأنظار إليه، وليقفز به تفوّقه إلى الصفوف الأولى في بلاط الخلافة الجديدة المنتصرة.

وقد ركّز (ابنُ المقفع) على خطين كبيرين:

أوّلهما: التميّز بطابع الحكمة، التي تدل على عقل كبير، وخلق قويم، وفهم لأسرار المعاني والقيم والعوائد التي تستقيم بها الحياة أو تشقى.

وثانيهما: قدرته الفائقة على فهم معارف الحُكم والسياسة.

وخلاصة هذه الدلالة بشقّيها أنّ (ابن المقفع) قدَّم فيها مؤهّلاته العاليّة التي تؤكّد مكانته مفكّراً حكيما، ثمّ كاتباً سياسيّاً ومصلحاً اجتماعيّاً، وهو بذلك، في تصوري، كان يقدم الدليل على أنه جدير بتولّي أرفع المناصب في الوزارة بالكتابة.

بين الزندقة والسياسة

الكتبُ القديمة التي تناولت (ابنَ المقفَّع) كثيرةٌ، وكذلك المؤلّفات الحديثة، والنغمة الغالبة فيها «أنّه قتل لزندقته»، وهذا موضوع شائك معقّد، ويبدو لي أنّ الرجل قد ظُلم فيه إلى مدى غير قليل، وأحبُّ أن أسجّل هنا جملةَ ملاحظات هامّة، لعلّها تضيف جديداً إلى هذه النقطة من تاريخه:

أوّلاً: القول بأنّه أسلم سياسيّاً رغبةً منه في تولّي المناصب قولٌ مشكوك فيه إن لم يكن مردوداً عليه؛ لأسباب، منها: أنّه كان الأولى به أن يسارع إلى الإسلام ما دام حريصاً على أن ينال من ورائه إحراز المناصب، خاصّة في عهد بني أميّة؛ حين كان التعصُّب

للعروبة والدّين أقوى منه عند بني العبّاس.

ثانياً: كتابات الرجل تدلّ على روح متديّنة، وقد تعقبت هذه الظاهرة في كتبه: (الأدب الصغير) و(الأدب الكبير) و(رسالة الصحابة)، فوجدتُ فيها أفكاراً وعبارات تدلّ على روح قويمة التدّين بل متصوّفة أحيانا، والرجل الذي يحترم الدّين وتغلب على نفسه ومزاجه أفكار هي من صميم الدّين وآدابه لا يكون من السهل عليه أن يتحوّل عن دين يؤمن به إلى دين آخر لا يؤمن به ابتغاءً لنفع عاجل، علماً بأنّه كان يزدري المنفعة العاجلة، وكان شديد الكرم يجود بماله ونفسه في سبيل أصدقائه، فكيف به في سبيل عقيدته؟!

ثالثاً: كان (ابنُ المقفَّع) غنيّاً مترفاً سخيّاً، ولم يكن بحاجة إلى المال، والفقرُ بطبعه يعبث بالقيم، ويرغم على كثير من المفاسد.

رابعاً: هناك أسباب سياسية واضحة أدت إلى مقتله:

كانت كتاباته مهتمة بالنقد السياسيّ والإصلاح الاجتماعيّ، وهـذه أمـور لا تعجب الحكّـام في فـترات التحوّل، وعصور الاستبداد، ويكفي أن نقرأ له رسالةَ الصحابة؛ فإنّها تحتوي فكراً سياسيّاً شديدَ الخطر في النقد والتوجيه .

خطاب الأمان الذي كتبه لـ (عبد الله بن علي) الذي كان والياً على الشام وخرج على (المنصور)، وادّعى الخلافة لنفسه، ثمّ فرَّ (عبد الله) واحتمى بأخويه (سليمان) و(عيسى) بالبصرة، وطلب أخواه الأمان له، وكان (ابن المقفّع) يكتب لـ(عيسى بن عبد الله)، فطلب إليه أن يكتب هذا الأمان ويشدّد في الاحتراس، فأخرج (ابنُ المقفّع) فيما كتبه (المنصور)، بل اعتدى عليه إلى مدى بعيد من إهدار الكرامة واستباحة الحرمات، وكما يقول (الجهشياريُّ): كان الذي شقَّ على (أبي جعفر المنصور) أن قال (ابن المقفع) في هذا الأمان الذي يوقعه بخطّه أبو جعفر: «وإن أنا نلتُ عبد الله بن علي أو أحداً ممّن أقدّمه معه بصغير من المكروه، أو أوصلت إلى أحد منهم ضررا سرّا أو علانية، على الوجوه والأسباب كلّها .. فأنا نفي من محمد بن علي بن عبد الله، ومولود لغير رشدة (أي: ولد سفاح)، وقد حلّ لجميع أمة محمد خلعي وحربي والبراءة مني، ولا بيعة لي في رقاب المسلمين، ولا عهد ولا ذمّة .. (وهو: أي المنصور) كافر بجميع الأديان .. محرّم المأكل والمشرب والمناكح والمركب والرقّ والملك والملبس على الوجوه والأسباب كلّها. وكتبت بخطيّ (أي: هذا العهد)، ولا نيّة لي سواه، ولا يقبل الله مني إلا إيّاه، والوفاء به».

واللهجة ـ كما نرى ـ شديدة الاجتراء والعدوان، بل بها من الإهانة والاحتقار لأبي جعفر ما لا يُقبل أو يطاق، ولذا، سأل (أبو جعفر): من كتب هذا الامان؟ فقالوا له: (ابن المقفع)، فقال أبو جعفر: «فما أحد يكفينيه؟»، وبهذه الكلمة أصدر (أبو جعفر) حكمهَ بقتل (ابن المقفّع).

تلقّفَ كلمةَ (أبي جعفر) رجلٌ بينه وبين (ابـن المقفع) ثأر قديم، هذا الرجل هو (سفيان بن معاوية بن يزيد ابن المهلب) إذ كان (ابن المقفّع) يكتب لـ (المسيح بن الحواريّ)، وهو والٍ على (نيسابور)، وحدث أنّ (عبد الله بن عمر بن عبد العزيز) ولّى عليها (سفيانَ بن معاوية)، ولمّا اتّجه إليها ليتسلّم الولاية من المسيح بن الحواري، قاتله هذا الأخير ونال منه بحيلة وخدعة تعتمد على استبطائه حتّى يتهيّأ المسيح بن الحواري لحربه، وقام بهذا الدور (ابن المقفّع)، وانهزم (سفيان بن معاوية) بسبب ذلك، وكُسرت ترقوتُه، فأضمرها لـ(ابن المقفّع)، ثمّ واتت الفرصة للنيل منه عندما غضب (المنصور) عليه بسبب عهد الأمان السالف الذكر .

وعندما ظفر به (سفيان)، عبَّر عن ضغينته أسوأ تعبير؛ إذ أمرَ بتنوّر فسُجّر، ثمّ أمرَ بأعضاء (ابن المقفع) أن تقطّع عضواً فعضواً، ثمّ توضع في النار لتحترق على مرأى من صاحبها، وإذا كان (ابنُ المقفّع) يسبُّ (سفيان) من قبل بقوله: «يا ابن المغتلمة»، فإن (سفيان) كان يسبّه عند مقتله بقوله «يا ابن الزنديقة».

الولاة قديماً كانت أيسر الحجج التي يتذرّعون بها لقتل من يريدون رميهم بالزندقة، وكان الاتّهام بالخروج على الدّين دائماً حجّةً سهلةً للسيطرة على عقول الجماهير، لاسيّما في البيئات التي

تحترم الدّين وتقدّسه، وبدلاً من أن يعلن الخليفة أو الوالي أنه قتل فلانا لأمور شخصيّة أو سياسيّة، فالأولى أن يكون القتل دفاعاً عن الحرمات العامّة وفي مقدّمتها العقائد الدينيّة، ولعلّه ممّا ساعد على ذلك أنّ (ابن المقفّع) كان صديقاً لمجموعة من المتحرّرين، وبعضهم متّهم بالزندقة، وكان (ابن المقفع) – أيضاً– رجل تغلب عليه النزعة العقليّة، وهو ليس من الفقهاء أو المفسّرين.

على أن الموقف السياسيَّ ليس بحاجة إلى مثل هذه الملابسات؛ فكثيراً ما أكلت السياسةُ الفقهاء الورعين باسم الزندقة، ويغلب على الظنّ أنّ الكتب والأخبار التي تنوقلت أيّام العباسيّين؛ وبعدهم، رددت ما كانت تقرّه السياسة وتسمح به، وجاء المحدّثون وفي مقدّمتهم المستشرقون فروّجوا لهذه المسألة، وتبعهم في ذلك دارسون عربٌ مسلمون دون أن يتنبّهوا إلى أنّ بعض المستشرقين من اليهود –وما أكثر من كتب منهم عن (ابن المقفّع) يعمدون ـ بطريقة وأخرى ـ إلى تصوير الشخصيّات اللامعة في التأريخ العربي بأنّها كانت تكره كلَّ ما هو عربي وإسلاميّ، ويفسّرون ما ظهر من ولائها ورضاها بأنّه يرجع إلى أسباب أخرى تتراوح بين دفع الضر وجلب الخير، وأنّها في حقيقة أمرها كانت تعمل في الخفاء والعلن ضدّ الاسلام والعروبة ما أمكنها ذلك.

والخلاصة، إن الرجل كان أديباً سياسيّاً، ومصلحاً اجتماعيّاً، ومفكّرا حكيما، وكان مقتلُه لأسباب سياسيّة شديدة الوضوح، ويجب أن نتذكّر جيدا أنّ الحريّة الفكريّة في عهد بني العباس لم تَقتل الزندقة إلّا عندما كانت عملاً سياسيّاً موجّها ضدّ أمن الدولة.

بين الشَّكل والمضمون

وصف (الجاحظُ) (ابنَ المقفّع) بأنّه كان جواداً فارساً جميلاً، ولا تهمّنا الأوصاف الشكليّة كثيراً وإنْ كانت هناك علائق قويّة بين الشكل والمضمون في بني الانسان –بل وفي الحيوان أيضاً– وهي علائقُ ودلالاتٌ يلمحها الفطن الأريب، الذي يأخذ نفسه بدراسة الناس ومراقبتهم ومحاولة النفاذ إلى أعماقهم، ثمّ التأمل في العلائق والروابط التي تمتدّ بين سجاياهم وطبائعهم من جهة، ونمط خلقتهم الظاهرة وأوصافهم العامّة من جهة أخرى، لكنّ الذي يهمّنا بصفة محدودة هو السمات النفسيّة والفكريّة والشعوريّة للشخص موضوع الدراسة .. وسوف نعرض هنا بعضَ السمات الهامّة لجوانب من نتاج (ابن المقفّع) الفكري، نقف من ورائها على المعرفة الحقيقيّة له:

يخصّص (ابن المقفّع) المقالةَ الثانيةَ من كتابه (الأدب الكبير) للحديث عن الصداقة والأصدقاء، وهذه المقالة تمثّل النصفَ الثانيَ لهذا الكتاب، ويبدؤها بقوله: «إبذل لصديقك دمَك، ومالك، ولمعرفتك رفدَك ومحضرَك، وللعامّة بشرَك وتحنّنك، ولعدّوك عدلَك وانصافَك، واضنن بدينك وعرضِك على كلِّ أحد».

ويقول أيضاً:«إجعل غاية تشبُّثَك في مؤاخاة من تؤاخي ومواصلة من تواصل، توطينَ نفسك على أنّه لا سبيل لك إلى قطيعة أخيك وإن ظهر لك منه ما تكره؛ فإنه ليس كالمملوك الذي تعتقه متى شئت.. ولكنّه عرضك، ومروءتك، فإنّما مروءة الرجل إخوانه وأخدانه... وإذا نظرتَ في حال من ترتئيه لإخائك، فإن كان من إخوان الدّين، فليكن فقيهاً غير مرّاء ولا حريص، وإن كان من إخوان الدنيا، فليكن حُرّا ليس بجاهل ولا كذّاب ولا شرّير ولا مشنوع (أي يجرّ على نفسه ما يجلب التشنيع والتعبير)؛ فإنّ الجاهل أهلٌ أن يهرب منه أبَواه، وإنّ الكذّاب لا يكون أخا صادقاً؛ لأن الكذب الذي يجري على لسانه إنّما هو فُضول كذب قلبه، وإنّما سُمّي الصديق من الصدق، وقد يتّهم صدق القلب وإنْ صدقَ اللسان، فكيف إذا ظهر الكذب على اللسان؟! وإنّ الشرير يُكسبك العدَّو ولا حاجةَ لك في صداقةٍ تجلب العداوة، وإنّ المشنوع شانعٌ صاحبه.

وأعلم أنَّ انقباضَك عن الناس يكسبك العداوة، وأنَّ انبساطَك اليهم يُكسب صديق السوء، وسوء الأصدقاء أضرّ من بُغض

الأعداء، فإنّك إنْ واصلتَ صَديقَ السوء، أعَيْتك جَرائرُه، وإنْ قَطَعْتَه، شانَك اسمُ القَطيعة، وألزمَكَ ذلك من يرفع عيبك، ولا ينشر عذرك؛ فإنّ المعايب تَنمي والمعاذير لا تَمني».

وممّا هو جدير بالذكر هنا، أنَّ هذه الكلمات التي سطّرها قلمُه وفاضت بها نفسه أيّدَها مسلكهُ في عديد من المواقف المهلكة للنفس والمتلفة للمال، فمن أخباره المشهورة أنّ (عبد الحميد بن يحيى) إمام الكتابة في عهد بني أميّة لجأ إلى (ابن المقفّع) بالبحرين بعد مقتل (مروان بن محمد)؛ ففاجأه الطلب وهو في بيت (ابن المقفّع)، وعندما دخل الجند عليهما، أخذ كلٌّ منهما يقول: أنا (عبد الحميد)، خوفاً على صاحبه، وأوشك الجندُ أن يأخذوا (ابن المقفّع)، فصرخ (عبد الحميد) قائلاً: ترفّقوا، فإنّ لكلٍّ منّا علامات، فوكلوا بِنا بعضَكم، وليمض الآخرون منكم إلى من وجَّهَكم فيذكر له العلامات، ففعلوا، وأخذ (عبد الحميد) وقتل سنة(١٣٢هـ).

وكان (ابنُ المقفّع) كريماً سخيّاً، يروي (ابنُ قتيبة) في (عيون الأخبار) أنّ (ابن المقفّع) بلغه أنَّ جاراً له يبيع دارهَ لدين رَكبه، فقال: «ما قمت ـ إذن ـ بحرمة ظلّ داره إنْ باعها معدَماً وبِتُّ واحداً، وحَمَل إليه ثمنَ الدار، وقال: لا تبع».

ويروي (الجهشياريُّ) قِصصاً وحكايا عن تضحياته بالمال في سبيل أصدقائه، إلى حدّ أنّه اشترى ضيعةً لصديقه (عمارة بن حمزة) والي الكوفة عندما رآه مضطرّا لبيع ضيعته، فأمسكها عليه، واشترى له ضيعةً مجاورة لها بثلاثين ألفاً، حيث لم تكن تستقيم ضيعة (عمارة) إلّا بشراء جارتها، وتمّ هذا دون علم (عمارة)، ثمّ علم (ابن المقفّع) بعد ذلك مباشرة حاجةَ (عمارة) إلى المال، فبعث إليه ثلاثين ألفاً أخرى.

ويكفي أن نعلم أنّه كان يجري على جماعة من وجوه أهل البصرة ما بين الخمس مائة إلى الألفين في كلّ شهر، إلى غير ذلك من الأخبار والحكايا، وعندما نقرأ أدب (ابن المقفع) بعيداً عن أخباره، فإنّنا نطلّع فيه على عديد من محامد الأخلاق.

وهكذا، يتّضح لنا أنّ الرجل كان يتمتع بمزايا متنوّعة من سِمتي الكمال والجمال في سلوكه الاجتماعيّ، الذي يجنح إلى المثل الأعلى من الايثار والتضحية وغيرهما، وهذه الميزات من الجمال والكمال تنبع من خلائق نفسه، ومسرى شعوره، ومنابع فكره، وإذن، فالجمال صفةٌ تمتدُّ في تكوينه لتشمل منه الشكلَ والمضمون معا، أي أنّ عبارة (الجاحظ) كما تصدق على شخص الرجل تصدقُ على مضمونه الإنسانيّ.

ويعكس كلُّ هذه الخلائق في نفسه وطبعه ومزاجه أسلوبه الأدبيّ في مبناه ومعناه، ففي أسلوبه من جمال الجرس، وانسجام الهيئة، ووضوح الرونق، ما يطالعك به الوجهُ الحسن في وضاءته وانسجام هيئته وتميّز رونقه، وأبرز سمات هذا الأسلوب تلك الفواصل السلسةُ المتقاربة التي تعتمد على السجع المطبوع أحياناً، وعلى الازدواج المحبّب، والمقابلة الدقيقة التي تزيد المعنى وضوحاً وتمنح النظم نغماً في ظاهره وباطنه، كلُّ ذلك في بساطة تدلّ على طبع متمكّن من فنّه بعيد عن الصناعة والتكلّف.

فإذا تقدَّمنا خطوة أخرى نحو المعنى، وجدنا دقّة التعبير في إصابة المعنى الواسع بالكلم القليل، ممّا يدلُّ على براعة التسديد ودقّة الإحكام التي يتميز بها مزاجُ الفارس المعلّم، على أنّنا إذا انتقلنا إلى موضوعاته السياسيّة، وجدنا من سمات الفروسيّة ما هو أشدّ وضوحا وأغزر دلالة؛ إذ تطالعنا روحُه الشجاعة تهجمُ على أخطر المسائل في النقد السياسيّ والعدل الاجتماعيّ، كلَّ ذلك في بَصرٍ رشيد، وحكمة هادئة واعية، رغم صراحتها وبراعتها في التشخيص والعلاج.

مع أحدث النظريّات المعاصرة

ولنستمع الآن إلى بعض كلماته في السياسة، يقول في المقالة الأولى من كتابه (الأدب الكبير) وهي في آداب السلطان: «إن ابتليت بالسلطان، فتعوَّذ بالعلماء»، وهذه الكلمة على بساطتها في عصرها تتّفق مع أحدث النظريّات التي تقضي بها علومُ السياسة

المعاصرة؛ في أنّ الحاكم لا بدّ له أن يعتمد على مجموعة من الأجهزة العالمة المتخصّصة كلّ في موقعه الصحيح، وعليه أن يطلّع دائماً على نتائج بحوثهم للمواقف المختلفة، ويبقى دوره دائماً في الاختيار واتّخاذ القرار، حيث لا يتسع وقت الفرد الواحد لبحث كلّ شيء ودراسته، فكلمة (ابن المقفّع) ثمرةُ تأمّل صحيح نافذ، ولو كان (ابنُ المقفع) ناقلاً لها، فإنّ الأصالة لا تعني الخلقَ والابتكار فقط، ولكنّها تعني أيضاً التخيّر ودقة الفهم مع سلامة الاستنتاج وبراعة الاستخدام.

ويواصل (ابن المقفّع) القول: «وأعلم أنّ من العجب أن يبتلى الرجل بالسلطان فيريد أن ينتقص من ساعات نصبه وعمله، فيزيدها في ساعات دعته وفراغه وشهوته وعبثه ونومه، وإنّما الرأي له والحقّ عليه أن يأخذ لعمله من جميع شغله، ويأخذ له من طعامه وشرابه ونومه وحديثه ولهوه ونسائه قدر ما يكون بها إصلاح جسمه وتقوية له على إتمام عمله».

وهكذا، ينكر أن تكون السلطة باباً للراحة والدعة، وهي بالحقّ كله كذلك مسؤوليّة ثقيلة تفرض على رجالها التضحية والدأب الموصول، وكأنّما كان يغمز (ابن المقفع) بعضَ الولاة في عصره.

هذه هي الكلمات الأولى في هذه المقالة، وفي تضاعيفها بعد ذلك عجبٌ كثيرٌ يطالعك، وفكر مستنير يستحقُّ الكثير من التجلّة والاحترام، فاذا أضفت إلى هذه المقالة -ولا بدّ أن تضيف- الكلام عن«رسالة الصحابة»، فإنّك واجدٌ فيها فكرا سياسيّاً من الطراز العالي، الذي يفقه النظريات، ويحدّد المسارات الدقيقة للعلاقات والمبادئ الشائكة المتشابكة، ممّا يدلّ على حصافة وشدّة تأمل، وثقافة واعية بصيرة، إنّه يثير قضّيتين متعارضتين يحلّلهما وينقدهما، ثمّ يحدّد المخرج الذي يراه.

أمّا الأولى، فما يقوله فريق من الناس: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، وممّا يُعلّق به عليها قوله: «فإذا كان الامامُ يعصى في المعصية، وكان غيرُ الإمام يُطاع في الطاعة، فالإمامُ ومن سواه على حقّ الطاعة سواء»، وأمّا القضيةُ الأخرى، فقول الآخرين: «نطيعُ الأئمّة في كلّ أمورنا ولا نفتّش عن طاعة الله ولا معصيته»، وهو يقول معلّقا عليها: «وليس هذا القول بأقلّ ضرراً في توهين السلطان وتهجين الطاعة من القول الذي قبله؛ لأنّه ينتهي إلى الفظيع المتفاحش من الأمر في استحلال معصية الله جهاراً صراحاً».

ثمّ يحدّد المخرجَ من هذا التعارض وذلك التناقض فيقول: ((فأمّا اقرارنا بأنّه لا يطاع الإمام في معصية الله، فإنّ ذلك في عزائم الفرائض والحدود التي لم يجعل الله لأحد عليها سلطاناً، وأمّا إثباتنا للإمام الطاعة فيما لا يطاع فيه غيره، فإنّ ذلك في الرأي والتدبير، والأمر الذي جعل الله أزمّته وعُراه بأيدي الأئمّة.. وليس يفترق هذان الأمران إلّا ببرهان من الله عزّ وجلّ، وذلك أنّ الله جعل قوامَ الناس وصلاحَ معاشهم ومعادهم في خلتين: (الدّين والعقل).. وهنا ينفذ إلى طبيعة العلاقة بين الدّين والعقل في مسائل الحياة، وهو في ذلك يعالج قضيّةً ما زالت إلى اليوم موضوعَ جدل عميق لا سيّما بين شباب العالم، الذين يطلّعون على مذاهب ونظريات معاصرة تنتصر للجوانب المادّيّة والفكريّة البحتة، وتنكر التعلّق بما وراء ذلك من تعاليم الأديان وآدابها.

يقول (ابن المقفع) في مقام بيان درجة العقل ومنزلته من الشرع: «ولم تكن عقولهم -وإن كانت نعمة الله عزّ وجلّ عظمت عليهم فيها- بالغة معرفة الهدى ولا مبلّغة أهلها رضوان الله، إلّا ما أكمل لهم من النعمة بالدين الذي شرع لهم، وشرح به صدر من أراد هداه منهم، ثمّ لو أنّ الدّين جاء من الله، لم يغادر حرفاً من الأحكام والرأي والأمر، وجميع ما هو وارد على الناس وحادث فيهم مذ بَعث اللهُ رسولهَ (ﷺ) إلى يوم يلقونه، إلّا جاء فيه بعزيمة، لكانوا قد كُلّفوا غير وسعهم، فضيَّق عليهم في دينهم، وآتاهم ما لم تتّسع أسماعُهم لاستماعه.. ولا قلوبُهم لفهمه، ولحارت عقولُهم وألبابهم التي امتنَّ الله بها عليهم، وكانت لغوا لا يحتاجون إليها في شيء..».

وهكذا، نرى الفكرَ السياسيّ البارعَ والفقه الدينيَّ والدستوريَّ الرشيد، كلّ ذلك في عبارة اتّخذت من الحكمة زادها، ومن الترسُّل

السهل الممتنع رواءَها، فهو لم يقصد فيها إلّا إلى الإفهام والإقناع قبل أيّ شيء آخر، ولا ينبغي للدارس أن ينسى هنا أن (كليلة ودمنة) أدخلُ ما تكون في أمور السياسة وآداب السلطان؛ ذلك أنّها تتّجه إلى النقد الصريح لسياسة الضغط والإرهاب وسلب الحرّيات، وهي ـ أيضاً ـ دعوةٌ صريحة إلى الإصلاح العام في شؤون الحياة، ومن عناصر توفيق هذا العمل الأدبيّ أجراء الحوار فيه على ألسنة الحيوانات؛ لما في ذلك من وقاية ناجحة يأمن بها الناقدُ على نفسه في الوقت الذي يهجم فيه على كلّ ما يريد، كما أنّ في أسلوب القصّ والمحاورة القدرة على جذب القرّاء لما فيه من لذّة التسلية ومتعة الاسترواح إلى جانب صحّة الفهم والتمييز للحقائق مجرّدةً عن أشخاص بأعيانهم، ويجب ألّا ننسى هنا أن اختيار المرء دليلُ عقله، فما الظن إذا كانت الترجمة على يَدي (ابن المقفع) في بعض جوانبها جهداً من الإبداع والخلق، وإنّها في الجملة صدى لفكر تفيضُ به نفسه ومشاعر تمتلئ بها إحساساته. ويكفي أن يقرّر التأريخُ أنّ هذا الرجل كان صاحب فكر سياسيٍّ واتّجاه إصلاحي، وأنّه قد بذل جهداً كبيراً في الكشف عن أفكاره وآرائه.

ويبدو لي أنّ هذا الرجل كان يحبُّ دائماً أن ينسب الكثير ممّا يقوله إلى الأقدمين دون أن يهتمّ بتسمية من يعنيه؛ يقول مثلاً: «وقال أهل الفضل والصواب»، وغايتهُ من ذلك أن يدلّ على سعة اطلّاعه، وإحاطته بعلم السابقين، وأن يعطي لما يقوله قيمةً مقدّسةً حتّى لا يتعرّض لمناوءة الجهلة الأدعياء والدسّاسين الكائدين؛ لأنّهم عندما يرونه ينسب القول لنفسه يجترئون عليه، أمّا هذه النسبةُ الغامضة أو العامّةُ التي تسود في كتاباته، فإنّها تحولُ بينهم وبين ما يريدون.

المبادئ والغايات العليا

وبعدُ، فقد عاش هذا الرجل للمبدأ الذي يؤمن به، يذيعُه، ويدافعُ عنه إلى أن أكلته حوادثُ السياسة، وإنّك لتجد في كتاباته نُبل الفكرة وعمقَها، فاذا أضيف إلى هذا أنّها تعالج موضوعات خطيرة وكبيرة، عرفنا أيَّ مفكر، وأيَّ مصلح، وأي همّة عالية كانت تعيش في كيان هذا الرجل..

وإنَّ أجمعَ ما يتّصفُ به أسلوبه في أبعاده المختلفة أنّه (أسلوب القوة)، وهذه السمة صدى لقوّة النفس والفكر والخلق، وبسببها كانت جزالة أسلوبه و وجازة كلمه، الذي يستوعب المعنى العميق الواسع في ثياب الحكمة العالية، وبسببها – أيضاً– كان تمكُّنه من حسن التعليل، وبراعة التقسيم، وصحّة الترتيب للأفكار والمعاني في عبارة مساوية، وسهولة محبّبة وصفها هو مرة فقال: «البلاغةُ هي التي إذا سمعها الجاهلُ، ظَنَّ أنَّه يُحسن مثلها».

وقد عبر عن بغضه للتعقيد والغرابة فقال: «اياك والتتبّع لوحُشيَ الكلامُ طَمَعاً في نيل البلاغة؛ فإنّ ذلك هو العيُّ الأكبر». وكان ـ أيضاً ـ يتجنّب الإسفاف، ويقول: «عليكَ بما سَهُلَ من الألفاظ مع التجنُّب لألفاظ السَّفَلة».

وختاماً، يمكن القول بأنَّ هذا الرجلَ نموذجٌ للأديب المثقَّف الذي يحترم فكرَه وفنَّه، ويعي رسالته الجادّة في الحياة، ويدفع في سبيلها ماله ودمَه.. ويخلص لفنّه، فلا ينافق به ولا يستثمره في غير الغايات العليا والمبادئ النبيلة....

محمود محمّد الحبيب
(١٩٢٢-٢٠٠٦م)

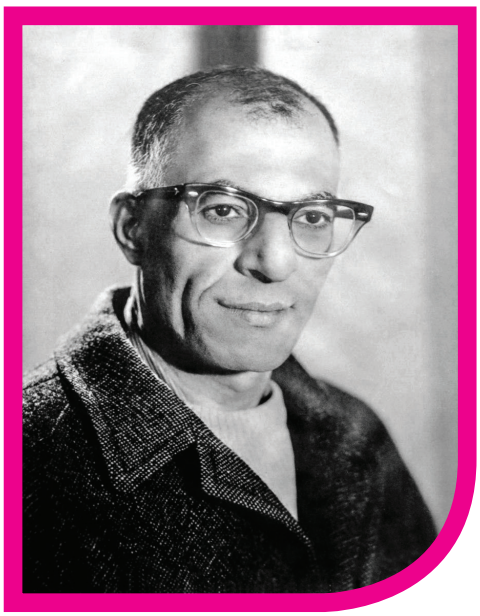

إعداد: الأستاذ المرحوم محمد صالح عبد الرضا

فقدتْ الأوساط العلميّة والأدبيّة في كانون الثاني (٢٠٠٦م) أُستاذ الاقتصاد، والأديب البصريّ الرّاحل، الدّكتور (محمود محمّد الحبيب)، الرَّجل الذي كان ذا روحٍ شبابيّة، وحسٍّ أدبيٍّ غامر، فهو واحد من أُدباء البصرة، وأساتذة جامعتها، تتلمذ على يده الكثير من أبناء هذه المدينة، وبين أوراقي حوار أدبيٌّ كنتُ قدْ أجريتُه معه قبل سبع وعشرين سنة من وفاته.

هل نستطيع أنْ نتعرَّف على أبرز ملامح تجربتك الأدبيّة؟

- لعلّ أبرز هذه الملامح تبلور اتجاهي نحو القصّة القصيرة في فترة الأربعينيّات، وانصرفتُ في شبه التخصّصي- إنْ صحَّ التعبير- إلى كتابتها، وكان لكلٍّ من الأستاذ (جعفر الخليليّ) صاحب جريدة (الهاتف) النجفيّة، والأستاذ (عليّ الخاقانيّ)، صاحب مجلّة (البيان) النجفيّة، فضل في احتضاني قاصّاً بصريّاً؛ إذ نشر لي كثيراً من القصص.

وللخاقانيّ اليد الأولى في تقديمي للقرّاء بكتابٍ؛ إذ قامتْ (دار البيان) بطبع أوّل وآخر مجموعة قصصيّة لي عام(١٩٤٩م)، هي: (صرعى)، وأودّ الإشارة إلى تبلور اتجاهٍ آخر لديّ -آنذاك-، وامتدَّ خلال الخمسينيّات والسِّتينيّات، هو اهتمامي بكتابة دراسات أدبيّة، أتذكَّر منها وعنها أنّها نُشرت في مجلّات نجفيّة، وفي مجلّة (الأقلام)، عن شعراء المهجر، ودراسة عن (طاغور)، ونما عندي اتجاه آخر مكتسحاً القصّة، إنّه إعادة مراجعة الكتب الأدبيّة والاقتصاديّة وتكثيفها.

أستطيع القول بأسف: إنِّي لم أتعامل مع الشِّعر نشراً أو تقويماً، وأنا أُمِّيٌّ من الصِّنف الأوّل في تعاملي مع الشِّعر الحرِّ، عدا السَّيّاب ونازك؛ إذ أتذوّقهما، وأتفاعل بعمقٍ مع قصائدهما.

ومع اعترافي بهذا النّقص، فقدْ أفادتني

مطالعاً في القصّة والرّواية والأدب منذ طفولتي، وما أزال، فإنّي أضعُ ساقاً في دائرة الأدباء، وأُخرى في دائرة الاقتصاديّين، ويقال عنّي –والشّهادة لشاعر صديق– بأنّي أدركتُ نجاحاً على الصّعيدين، وأقول بدوري لكم: يعلم الله أنّي لا زلتُ تلميذاً يتعلّم كلّ يوم، فالنّجاحات قضيّة نسبيّة، وكم أحلم الآن، وهذا ما تريده منّي (نازك الملائكة) أنْ أدرس بجدّيّة المدارس النّقديّة، ثمَّ أُركّز على المعاصرة، وأدخل ميدان النّقد الأدبيّ، وأقول: أحلمُ لسبب بسيطٍ؛ لأنّي أُدرك أنَّ ميلاد ناقد أصيل أمرٌ صعبٌ.. ولكنّي مستعدٌّ للدِّراسة.. امنحني بعثة، أو إجازة دراسيّة لثلاث سنوات، وأعدك بدكتوراه في النّقد الأدبيّ المعاصر.

-كيف كانت الحركة الأدبيّة في البصرة أيّام نشاطك الأدبيّ الأوّل؟

– هذا سؤال ذكيٌّ، ولكنّه لا يخلو من حديث الشّعراء؛ لأنّك تتّهمني مع سبق الإصرار بأنّي مقلٌّ في الوقت الحاضر، إذن كيف استمتعتَ بجلسات حوار ممتع مع أساتذتي (طاغور، وأبي ماضي، وميخائيل نعيمة، ومع شاعري نزار قبّاني)؟، وكيف أنستُ بحديثٍ أدبيٍّ مع شاعرتي؟ وكيف تناولتُ كتاب (طارق الكاتب) في نظريّته عن وزن الشِّعر عبر لغة الرِّياضيّات؟ أليست هذه كتابات أدبيّة؟ لقدْ دفعتَني ثلاثين سنة أو تزيد إلى الوراء، وإنّي أقولها بكلِّ صراحة، كانت الحركة الأدبيّة في الثّلاثينيّات والأربعينيّات في قمّة نشاطها، وأروع عطاءاتها النّقديّة والأدبيّة والشِّعريّة والقصصيّة... كنّا شباباً يلتهم الكتب وينظم ويكتب وينشر بعافية.

كانت الجدِّيّة شعارنا، وكانت المقاهي أنديتنا الأدبيّة، وكانت حلقات الأُدباء تنتشر في أكثر من بقعة في البصرة، وكنّا عصبة متحابّة متعاونة، لم نعرف من الحسد والحقد إلّا ظلالها الباهتة، والمنافسة عارمة.. نعم، هذا واقع، ولكنّها منافسة شريفة، أقرأ أقاصيص (يوسف حدّاد، ومهدي عيسى الصَّقر)، فأهتزُّ وأفرح، فيطلبان المزيد، ونسمعُ (بدراً) يُنشد بواكير شعره في ساحة ثانويّة العشّار، وفي كازينو (إبراهيم حبش)، فنأنس بها، وينقدها زملاء لنا، مثل: (محمّد عليّ إسماعيل، ومحمّد حسين إسماعيل، ومحمّد الجواهريّ، وصالح فاضل)، وكنّا نكتبُ، ونقرأُ ما يكتب (فيصل السّامر، والبازي)، وغيرهما.

وكنّا نتحلّق حول شاعر منسي الآن، ورهين المحبسين، هو أُستاذي (كاظم محمود الصّائب)، فنستفيد منه.. وكنّا معجبين بإنتاج أديب شاعر هو(كاظم مكّي)، وآخر هو(عبد الرّزّاق العايش)، ليسوا هم كُحل الحلقات الأدبيّة، فهناك آخرون، ولكن واقع حالنا واعتزازنا بما نعمل وننتج كان يصرخ بقوّة في مجتمع الثلاثينيّات والأربعينيّات، بأنّ البصرة ما زال لها مربدها، وأنّها ستظلُّ تَرفد بغداد وغيرها بأُدباء وشعراء.. وأنا على حقٍّ، فما زلنا نصدِّر إلى العاصمة حتّى الوقت الحاضر طليعة الأدباء والشّعراء والفنّانين.. وأنا جدّاً فخور ببلدي، تذكر يا عزيزي (محمّد)، أنّ الإمكانات المادِّيّة والطباعيّة والإعلاميّة كانتْ أندر من شعرات بيضاء على رأسي، ومع هذا، فقدْ وصلت أصواتنا الشِّعريّة والأدبيّة والقصصيّة إلى حواضر كبرى: بغداد، القاهرة، بيروت، البحرين، دمشق، كانت بصريّة شابّة، ولكنّها انجمدتْ مع أصوات المخضرمين في طليعة المجلّات العربيّة، ورحم الله أستاذي(عبّاس محمود العقّاد) حين أفرد لي مقالاً كاملاً عن الأدب في اليابان جواباً على سؤال طرحته عليه أنشد العلم والمعرفة على صفحات مجلّة الرِّسالة للزّيّات. بإيجاز يا ولدي، كانت أيّاماً غنيّة بالعطاء الأدبيّ، وبسمُوِّ الرّوح والتعاون والحبّ الصّادق الذي تفجَّر في قلوب أُدباء البصرة في الثلاثينيّات والأربعينيّات.

وفي الختام : رحم الله الأديب الراحل محمود محمد الحبيب ورحم الله المرحوم الأديب الراحل محمد صالح عبد الرضا .

مِن نوادر اللغويّين

إبنُ دريد ونفطَوَيْه

كان بين ابنِ دريدِ ونفطويه خلافٌ ونزاع ، فقال : نفطويه يهجو ابن دريد :

ابــنُ دريدٍ بقـــــره ... وفــيه لــؤمٌ وشَــرَه
قد ادّعى بجهـــــله ... جمعَ كتــابِ الجَمْهَره
وهو كتابُ العين إلّا ... أنّـــه قــد غيَّـــرَه

فبلغ ذلك ابنَ دريد، فقال يجيبه :

لو أُنزل الوحـي على نفطويه ... لكانَ ذاك الوحيُ سُخطاً عليه
وشاعرٌ يُدعى بنصف اسْـمه ... مســتأهلٌ للصفع في أَخْدَعَيه
أحرقَهُ الله بنصـــف اسْـمِه ... وصيّـــرَ الباقي صُراخاً عليه[1]

فنفطويه يتّهمُ ابنَ دريد بسرقة كتاب الجمهرة – وهو معجم لغويّ – من كتاب العين للخليل بن أحمد مع تغيير بعض ما فيه ، وردَّ عليه ابنُ دريد بهجاء لاذع، والأخدعان : جانبا العنق ، ونصف اسمه (نفط)، يدعو عليه بأن يحرقه الله به ، والنصف الآخر (ويه)وهو صوت الصراخ والعويل ، أمّا إثبات الهمزة في (ابن)، فهو للضرورة .

(١) (معجم الأدباء : ١/ ١٦٦) .

أمثالٌ شعبيَّة

- الله رازق الدود بالصفا .

الصفا : الصخر – الصوّان . الحجر الصّلد الضخم .

المعنى : يرزق اللهُ كلَّ كائن حيٍّ حتّى الدودة بين الصخور الصماء؛ فإنّ الله يهيّئُ لها رزقاً تعيش عليه .

ويُضرب لتكفّل الله بأرزاق جميع الكائنات الحيّة فلا يركن أحدٌ في طلب رزقه على البشر، بل اللهُ هو الرزّاق ذو القوّة المتين .﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[1]

– الله ما نْشاف بالعين ، إنْعِبَد بالعقل .

إنشاف : رُؤي ، أُبصر .

إنْعِبَد: عُبدَ ، عُرفَ .

المعنى : إن الله سبحانه وتعالى لم يُرَ بالعين وإنّما عُبد بالعقل استدلالاً واستقراءً،

و يضرب لأهّميّة الاهتداء إلى الأشياء بالدّلالة العقليّة .

ومن كلام لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) وقد سأله ذُعلُب اليماني، فقال: هل رأيت ربَّك يا أمير المؤمنين؟

فقال (عليه السلام): «أَفَأعبدُ ما لا أرى؟» فقال: وكيف تراه؟ فقال: «لا تراه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركُه القلوبُ بحقائق الإيمان»[2].

– البَجّاي غلَب الشَجّاي

المعنى : المعتدي إذا كانَ بكّاء متظلّماً، فإنهّ قد يغلب المعتدى عليه المظلوم، الذي يشرح دعواه بالحجّة والاتزان؛ إذ يعتقد الناس لأوّل وهلة أنّ المتظلم الباكي هو صاحب الحقّ، ويحاولون الانتصار له ، وقد ينتصرون فعلاً .

ويضرب لِمن يُلبس الحقَّ بالباطل، ويتظلَّم وهو الظالم .

دَلّ على أنّه ينبغي للحاكم أن يترك الحكومة والتكلّم فيها حتّى يحضر الخصوم جميعاً ومن ثَمَّ قال بعض الأكابر: إذا جاءك الخصمُ وقد فُقئت عينه، فلا تحكم له؛ فلعلّه يأتيك خصمه وقد فُقئت عيناه[3].

(١) الذاريات:٢٢.

(٢) شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد – ج ١٠ – الصفحة ٦٤ .

(٣) شرح أصول الكافي – محمد صالح المازندراني – ج ١٠ – الصفحة ١٠٤.

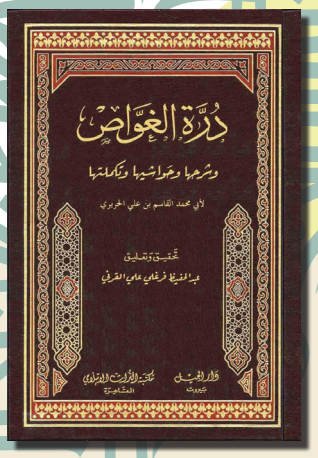

كتابِ: دُرّةُ الغَوّاص في أَوْهام الخواصّ(١٠)

الشيخ الدكتور : محمود العيداني

من حميد الأخلاق غيرةُ المرء على لغته؛ لأنّها آلةُ التواصل الاجتماعيّ، ووسيلةُ الإفهام والتفاهم، وأداةُ التعبير عن الاحتياجات الخاصّة والعامّة، وبها يُعبّر عن خَنايا الصدور، وخَلَجات النفوس، فإذا ما ضعفت قوّتها، انفرطت الوحدةُ الاجتماعيّة، وضاعت الدقّة في الاستعمال، واحتاجَ إدراكُ المعاني إلى مجهود يزيد عن الفائدة المرجوّة، لهذا، تحرّك حماةُ اللغة من قديم لوضع القواعد والأسّس لاستقامة اللسان، والتنبيه على مواطن الخَلل، وتقويم ما اعوجّ، والسير على هدى السابقين، مع فحصِ الأحوالِ والظروفِ المؤدّية لهذا الخلل، دون إغفالٍ لعوامل التطور والتجديد في الاستعمال.

ونظراً لقيمة اللغة العربيّة عند أهلها، والتصدّي لأيّ تحريف أو لحنٍ في استخدامها، وحرصِ علمائها على تقويم استعمالها على مرّ العصور، فقد قام عددٌ من العلماء بتأليف المعاجم اللغويّة؛ توثيقاً لتراث الآباء، ومرجعاً نهتدي به عند الاختلاف، وتنميةً لما غاب عن الأذهان، وحمايةً للّغة من الضياع، وقام آخرون بتتبّع استعمال مفردات اللغة، وتصحيح الأخطاء، وبيان الفصيح والأفصح؛ استناداً على المخزون اللغويّ من كلام العرب الفصحاء.

ومن بين هؤلاء العلماء: ابنُ قتيبة في أدب الكاتب، والحريريُّ في درّة الغوّاص، فقد قاما بتقويم غير الصحيح الوارد في استخدام العوام والخواصّ، وبيان جهات القصور، سواء أكان في البنية، أم التركيب اللغويّ، أم الدلالة؛ وفق مقاييس وضوابط وأصول(١).

وقد تقدّم تسليطُ الضوء على كتاب للحريريّ، القاسم بن علي بن محمّد بن عثمان، أبو محمّد، الحريريّ، البصريّ، صاحبِ المقاماتِ المعروفة المشهورة(٢)، وهو كتاب (درّةُ الغوّاص في أوهام الخَواصّ)؛ لبيان بعض ما يخطئ فيه المتكلّمون بالعربيّة ويلحَنون به.

وممّا يجعلُ الكتابَ جديراً بالقراءة ليس

ما جاء فيه من معلومات وتصحيحات للّغة مهمّة وجيّدة وممّا لا بدّ من تعلّمه فقط، وإنّما ما خالَطَ هذه المعلومات القيّمة من إضافات أدبيّة وقصصيّة وفكريّة وثقافيّة مختلفة، يجدر بكلّ من يهتمّ باللغة والعلم والمعرفة والثقافة الوقوفُ عليها، وقد وقعَ القرارُ على اختيار بعض ما في هذا الكتاب من موارد اهتمَّ بذكرها الحريريُّ، ونَقلها على شَكل مقالاتٍ متسلسلة، وهذا المقالُ يقع ضمنَ هذه السّلسلة من المقالات.

قال (رحمه الله):

«وَيَقُولُونَ: امْتَلأت بَطْنُه، فيؤنّثون الْبَطن، وَهُوَ مُذَكّر فِي كَلَام الْعَرَب، بِدَلِيل قَول الشَّاعِر:

فَإِنَّك إِن أَعْطَيْتَ بَطْنك سؤلَه ... وفرجَكَ، نالا مُنْتَهى الذَّم أجمعا

وَأما قَول الشَّاعِر:

فَإِن كلاباً هَذه عشرُ أبطن

وَأَنت بريٌّ من قبائلها الْعشر

فَإِنَّهُ عنيَ بالبطن الْقَبِيلَة فأنّثه على معنى تأنيثها، كَمَا ورد فِي الْقُرْآن: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عشر أَمْثَالهَا﴾ ، فأنَّثَ الْمثل وَهُوَ مُذَكّر لما كَانَ بِمَعْنى الْحَسَنَة.

وَنَظِيرُ تأنيثهم الْبَطن وَهُوَ مُذَكّر تأنيثُهم الْألف أَيْضاً فِي الْعدَد؛ فَيَقُولُونَ: قبضتُ ألفاً تَامّة، وَالصَّوَاب أَن يذكّر فَيُقَال: ألف تَامّ، كَمَا قَالَت الْعَرَب فِي مَعْنَاهُ: ألف صتم وَألف أقرع، وَالدَّلِيل على تذكير الْألف قَوْله تَعَالَى: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ﴾، وَالْهَاءُ فِي بَاب الْعدَد تُلْحق بالمذكر وتحذف من الْمُؤَنَّث، وَأمّا قَوْلهم: هَذِه ألفُ دِرْهَم، فَلَا يشْهد ذَلِك بتأنيث الْألف؛ لِأَن الْإِشَارَة وَقعت على الدَّرَاهِم وَهِي مُؤَنّثَة، فَكَانَ تَقْدِير الْكَلَام: هَذِه الدَّرَاهِم ألف.

وَيَقُولُونَ: فعلتُه لإحازة الْأجر، وَالصَّوَاب أَن يُقَال: لحيازة الْأجر؛ بِدَلِيل أَن الْفِعْل الْمُشْتَقّ مِنْهُ (حَازَ)، وَلَو كَانَت الْهمزَة أصلا فِي الْمصدر، لالتحقت بِالْفِعْلِ الْمُشْتَقّ مِنْهُ، كَمَا تلتحق بأراد الْمُشْتَقّ من الْإِرَادَة، وبأصاب المتفرع من الْإِصَابَة.

فَلَمَّا قيل فِي الْفِعْل: حَاز، علم أَن مصدره الْحِيَازَة مثل خاط الثَّوْب خياطَةً، وصاغ الْخَاتم صياغةً، وحاد عَن الْحَرْب حيادة.

وَحكى الْأَصْمَعِي قَالَ: سَأَلتُ بعض الْأَعْرَاب عَن نَاقَته فَأَنْشد:

كَانَت تقيَّد حينَ تنزلُ منزلا

فاليومَ صَار لَهَا الكلالُ قيودا

لن تَسْتَطِيع عَن الْقَضَاء حيادةً

وَعَن الْمنيّة أَن تصيبَ مَحيدا

الْقَوْمُ كالعيدان يفضلُ بَعضُهم

بَعْضًا كَذَاك يفوق عودٌ عودا

فَأَمّا قَوْلهم فِي الْمثل: أَسَاءَ سمعاً فأساء جابةً، فالجابةُ هَا هُنَا هِيَ الِاسْم، والمصدر الْإِجَابَة، وَهَذَا الْمثل يضْرب لمن يُخطئ سمعا فيسيء الْإِجَابَة، وَأَصله أَنه كَانَ لسهيل بن عَمْرو بْن مضعوف، فَرَآهُ إِنْسَان ماراً فَقَالَ لَهُ: أَيْن أمُّك يُرِيد أَيْن قصدُك، فَظنَّ أَنَّه يسْأَله عَن أمّه، فَقَالَ: ذهبَت تطحن، فَقَالَ: أَسَاءَ سمعاً فأساء جابة. وَنَظِير الجابة فِي كَلَامهم الطَّاقَة وَالطَّاعَة والغارة، ومصادر أفعالها الإطاقة والإطاعة والإغارة... .

وَيَقُولُونَ: شوَّشْتَ الْأَمرَ وَهُوَ مشوَّش.

وَالصَّوَاب أَن يُقَال فِيهِ: هوَّشته وَهُوَ مهوَّش، لِأَنَّه من الهَوش، وَهُوَ اخْتِلَاط الشَّيْء، وَمِنْه الحَدِيث: إِيَّاكُمْ وهوشات الْأَسْوَاق، وَجَاء فِي خبر آخر: من أَصَاب مَالاً من مَهاوِش أذهبَه اللهُ فِي نَهابر، يَعْنِي بالمهاوش: التخاليط، وبالنهابر: المَهالك.

وَقد روى: من أَصَاب مَالاً من نَهاوش، وَهُوَ فِي مَعْنَاهُ... .

وَمن أوهامهم أَيْضاً فِي تَغْيِير صِيغَة المفاعيل وَهُوَ من مفاضح اللّحن الشنيع قَوْلهم: قلبٌ متعوبٌ، وَعملٌ مفسودٌ، وَرجلٌ مبغوضٌ، وَوجه القَوْل أَن يُقَال: قلبٌ مُتْعبٌ، وَعمل مُفسَدٌ، وَرجل مبغَض؛ لِأَن أُصُول أفعالها رباعيّة، ومفعول الرباعي يبْنى على مُفْعَل، فَكَمَا يُقَال: أُكْرم فَهُوَ مُكرَم وأُضرَم فَهُوَ مُضرَم، كَذَلِك يُقَال: أُتعب فَهُوَ مُتْعَب، وأُفسد فَهُوَ مُفسَد، وَأُبْغض فَهُوَ مبغَض، وَأُخرج

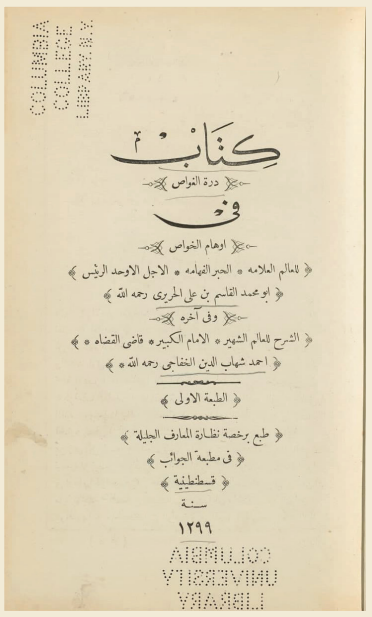

فَهُوَ مخرَج.

ويَقُولُونَ: انضافَ الشَّيْءُ إِلَيْه، وانفسدَ الْأَمرُ عَلَيْه، وكلا اللَّفْظَيْن معرّةٌ لكَاتبه والمتلفظ بِهِ؛ إِذْ لَا مساغ لَهُ فِي كَلَام الْعَرَب وَلَا فِي مقاييس التصريف.

وَوجه القَوْل أَن يُقَال: أضيفَ الشَّيْءُ إِلَيْه وَفَسَدَ الْأَمر عَلَيْه؛ وَالْعلَّة فِي امْتنَاع انفعلَ مِنْهُمَا أَنّ مبْنى فعل المطاوعة المصوغ على انفعَلَ أَن يَأْتِيَ مُطَاوعُ الثلاثية المتعدّية كَقَوْلِك: سكبته فانسكبَ، وجذبته فانجذب، وقُدْتُه فانقاد، وسقتُه فانساق، ونظائر ذَلِك، وضافَ وَفَسَد إِذا عُدّيا بِهَمْزَة النَّقْل فَقيل: أَضَاف وأفسدَ، صَارا رباعيّين، فَلهَذَا امْتنع بِنَاء انفعلَ مِنْهُمَا.

فَإِن قيل: نُقل عَن الْعَرَب أَلْفَاظٌ من أَفعَال المطاوعة بنوها من انفعل؛ فَقَالُوا: انزعج، وَانْطَلق، وانقحم، وانحجر، وأصولُها أزعجُ وَأطلقُ وأقحمُ وأحجرُ، فَالْجَوَاب عَنهُ: أَن هَذِه شذَّت عَن الْقيَاس المطّرد وَالْأَصْل المنعقد كَمَا شذّ قَوْلهم: انسربَ الْشَّيءُ، الْمَبْنِيّ من سَرَبَ، وَهُوَ لَازمٌ، والشواذُّ تُقصر على السماع، وَلَا يُقَاس عَلَيْهَا بِالْإِجْمَاع.

وَيَقُولُونَ لِلْمَأْمُور بِالْبرِّ والشّمّ: برَّ والدَك بِكَسْر الْبَاء، وشُمَّ يدَك بِضَم الشين.

وَالصَّوَاب أَن يُفتحا جَمِيعًا؛ لِأَنَّهُمَا مفتوحان فِي قَوْلك: يبَرّ ويشَمّ، وَعقد هَذَا الْبَاب أَنّ حَرَكَة أول فعل الْأَمر من جنس حَرَكَة ثَانِي الْفِعْل الْمُضَارع إِذا كَانَ متحرّكاً، فتفتح الْبَاء فِي قَوْلك: بَرَّ أَبَاك؛ لانفتاحها فِي قَوْلك يبَرّ، وتُضم الْمِيم فِي قَوْلك: مُدّ الْحَبلَ؛ لانضمامه فِي قَوْلك: يمُدّ، وتكسر الْخَاء فِي قَوْلك خفَّ فِي الْعَمَل؛ لانكسارها فِي قَوْلك: يخفّ.

وَإِنَّمَا اعْتُبر بحركة ثَانيه دون أَوّله؛ لِأَن أَوله زَائِدٌ، وَالزَّائِد لَا اعْتِبَار بِهِ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَن يسكَّن ثَانِي الْفِعْل الْمُضَارع كالضاد من يضْرب، وَالسِّين من يسْتَخْرج، فتُجتلب همزَةُ الْوَصْل لفعل الْأَمر المصوغ مِنْهُ؛ ليمكن افْتِتَاح النُّطْق بِهِ، كَقَوْلِك: اضْرب، استخرج، وَهَذَا الحكم مطرد فِي جَمِيع أَمْثِلَة الْأَمر المصوغة من الْأَفْعَال المضارعة، وَإِنَّمَا صِيغ مِثَال الْأَمر من الْفِعْل الْمُضَارع دون الْمَاضِي لتماثلهما فِي الدَّلَالَة على الزَّمَان الْمُسْتَقْبل، وَأمّا جنسُ حَرَكَة آخر الْفِعْل المضعَّف فِي الْأَمر والجزم كبيت جرير:

فغُضَّ الطَّرفَ إِنَّك من نمير
فَلَا كَعْبًا بلغتَ وَلَا كلابا

فقد جُوّز كسرُ الضَّاد من غضّ لالتقاء الساكنين، وَفتحهَا لخفّة الفتحة، وَضمّهَا على اتِّبَاع الضمّة قبلهَا، وَهُوَ أضعفُها»[٣].

(الهوامش)

١- من مقالة للأستاذة أنسام محمد الحسيني، بعنوان (الإنتصار للخواص من الحريري ـ الدلالة أنموذجا)، منشور في مجلة كلية الآداب جامعة بورسعيد ـ العدد (٨) ـ ٢٠١٦، ص١٣.

٢- أنظر ترجمته المفصلة في: الأنساب للسمعاني: ٤/ ٩٥ و ١٢١، المنتظم لابن الجوزي: ٩/ ٢٤١، معجم الأدباء لياقوت الحموي: ١٦/ ٢٦١، وفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/ ٦٣، وتذكرة الحفاظ: ٤/ ص١٢٥٧، والعبر: ٤/ ٣٨، ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/ ٦٣، وتذكرة الحفاظ: ٤/ ص ١٢٥٧، وطبقات الشافعية للسبكي: ٧/ ٢٦٦، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى: ٥/ ٢٢٥، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٤/ ٥٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي: ١٤، ٢٢٨.

٣- المصدر: درّة الغوّاص في أوهام الخواصّ، المحقق: عرفات مطرجي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨/ ١٩٩٨هـ، ص٣٨-٤٧.

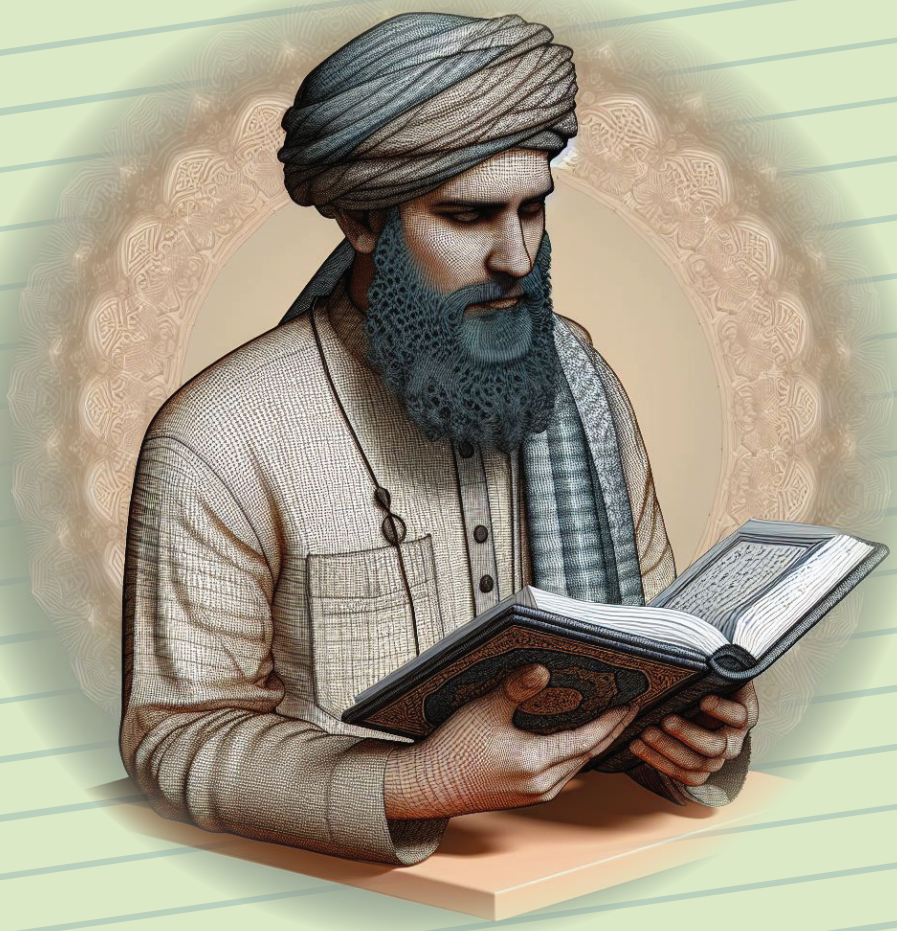

مِن أعلام اللغة والأدب
عليّ بن حمزة البصريّ

د. أشرف عبد الحسن

هو أحدُ أعلام أئمّة أهل اللغة والأدب، ومن الفضلاء المتحقّقين العارفين بصحيحها من سقيمها[1]، وله ردودٌ على جماعة من أئمّة أهل اللغة، كابن دريد، والأصمعيّ، وابنِ الأعرابيّ، وغيرهم[2]، لم تَذكر المصادرُ تأريخ ولادته إلّا أنّه وُلد في القرن الرابع الهجريّ.

تتلمَذَ وأخذَ العلمَ والمعارف الإسلاميّة عن جماعة من أكابر علماء عصره، فروى عن مشايخ الشيعة، منهم: هارون بن موسى التلعكبريّ، وأبو بشر أحمد بن إبراهيم العَمّيُّ، ومحمدُ بنُ الحسن بن دريد، وغيرهم[3].

روى عنهُ جماعةٌ، منهم: محمدُ بن أحمد أبو الحسن البغداديّ[4]، وروى عنه أبو الفتح بن جنّيّ شيئاً من أخبار المتنبّي وغيرها[5]، فلمّا ورد المتنبّي إلى بغداد، نزلَ على عليّ بن حمزة البصريّ، فكان ضيفَهُ إلى أن رحَل عنها[6].

له كتب، منها (إيمان أبي طالب(عليه السلام))[7]، نَقلَ عنه بعضَ فصوله الحافظُ ابنُ حجر[8] في ترجمة أبي طالب واتّهم مؤلّفَه بالرَّفض، أي انّه من الشيعة. وله ايضاً (التنبيهات على أغاليط الرواة)، وردود على: (اصلاح المنطق) لابن السكّيت، و (فصيح) لثعلب،

و (النبات) للدينوريّ، و (الحيوان) للجاحظ، و(المقصور والممدود) لابن وَلاّد[٩]، وله (الردّ على أبى عبيد القاسم بن سلام في المصنَّف)، و(الردّ على أبى زياد الكلابيّ)، و(الردّ على أبى عمرو الشيباني في نوادره)[١٠].

وذكرَ عليّ بن حمزة البصريُّ في كتابه أشعار أبى طالب (رحمه الله): حدّثني أبو بشر قال: حدّثني أبو بردة السلميّ عن الحسن بن ما شاء الله قال: حدّثني أبي قال: سمعتُ عليّ بن ميثم يقول: سمعتُ أبي يقول: سمعت جدي يقول: سمعت عليّاً (عليه السلام) يقول: «تبعَ أبو طالب عبدَ المطلب في كلِّ أحواله حتّى خرج من الدنيا وهو على ملّته، وأوصاني أن أدفنه في قبره، فأخبرتُ رسولَ الله بذلك، فقال: أذهب فواره وانفذ لما أمرك به، فغسّلْتُه وكفّنتُه وحملتُه إلى الحُجون، ونبشتُ قبرَ عبد المطلب، فرفعتُ الصفيح عن لحده فإذا هو موجَّه إلى القبلة، فحمدتُ الله تعالى على ذلك، ووجّهت الشيخ، وأطبقتُ الصفيح عليهما، فأنا وصيُّ الأوصياء، وورثتُ خير الأنبياء، قال ميثم: والله، ما عَبد عليٌّ ولا عبد أحدٌ من آبائه غيرَ الله تعالى إلى أن ماتوا»[١١].

وما ذكره ابنُ حجر دليلٌ على صحتّه بما لا يقبل الشكّ؛ فبعد إيراده للخبر يقول: وهذه سلسلةٌ شيعيّةٌ من الغلاة في الرفض، فالاتّهام بالتشيُّع دليلٌ عنده على عدم قبول الرواية، وهذا ما سار عليه منهجُ الرجال عند المخالفين لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

وقال ابنُ حجر أيضاً: «وذكرَ جمعٌ من الرافضة أنّه مات مسلماً، وتمسّكوا بما نُسب إليه من قوله:

ودعوتَني وعلمتُ أنَّك صادقٌ
ولقد صدقتَ فكنتَ قبلُ أمينا
ولقد علمتُ بأنَّ دينَ محمّد
من خير أديان البريّة دينا»[١٢].

فهذه كُلُّها أخبارٌ قاطعةٌ في صحّة إيمان أبي طالب(عليه السلام) ممّا تتواتر عليه الأخبار من المخالف قبل المؤالف.

تُوفي عليُّ بن حمزة البصريُّ بصقّليّة سنة (٣٧٥ هـ)[١٣] ، مخلّفاً وراءه إرثاً حضاريّاً بحاجةٍ الى تحقيق ودراسة، من أجل إزالة الغبار عن وجه التراث.

(الهوامش)

١ – ينظر: كتاب إيمان إبي طالب، للشيخ المفيد، ص٨.

٢ – ينظر: مُعجم الأدباء، ياقوت الحمويّ، ج١٣، ص٢٠٨؛ الأعلام، للزركليّ، ج٤/ ص٢٨٣.

٣ – ينظر: الذريعة، آغا بزرك، ج٢، ص٥١٣.

٤ – تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج١/ ص٣٦٠.

٥ – أبو الفتح عثمان بن جني المشهور بـابن جني، عالمٌ نحويٌّ كبير، وُلد بالموصل عام ٣٢٢ هـ، ونشأ وتعلّم النحو فيها على يد أحمد بن محمد الموصليّ الأخفش، ينظر: الزركليّ، الاعلام، ج٤، ص٢٠٤. وكان ابنُ جني يتبع المذهب البصري في اللغة، ينظر: فاضل السامرائي، ابن جني النحوي، ص٢٧٦–٢٩٠؛ خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص٣٤٤.

٦ – ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج١٣، ص٢١٠.

٧ – ينظر: كتاب إيمان أبي طالب، الشيخ المفيد، ص٨؛ الشيخ الأميني، ص٩٨.

٨ – ينظر: الإصابة، ج٧، ص٢٠٢.

٩ – الأعلام، للزركلي، ج٤/ ص٢٨٣.

١٠ – ينظر: الذريعة، آقا بزرك، ج١٠، ص١٨٠.

١١ – ابن حجر، الإصابة، ج٧، ص٢٠٢.

١٢ – الإصابة، ابن حجر، ج٧، ص١٩٨؛ وينظر: اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣١؛ أبي الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج١، ص١٢٠.

١٣ – ياقوت الحمويّ، معجم الأدباء، ج١٣، ص٢٠٩؛ الصفدي، الوافي، ج ١٢، ص ٥٥؛ معجم المؤلّفين، عمر كحالة، ج٧، ص٨٣.

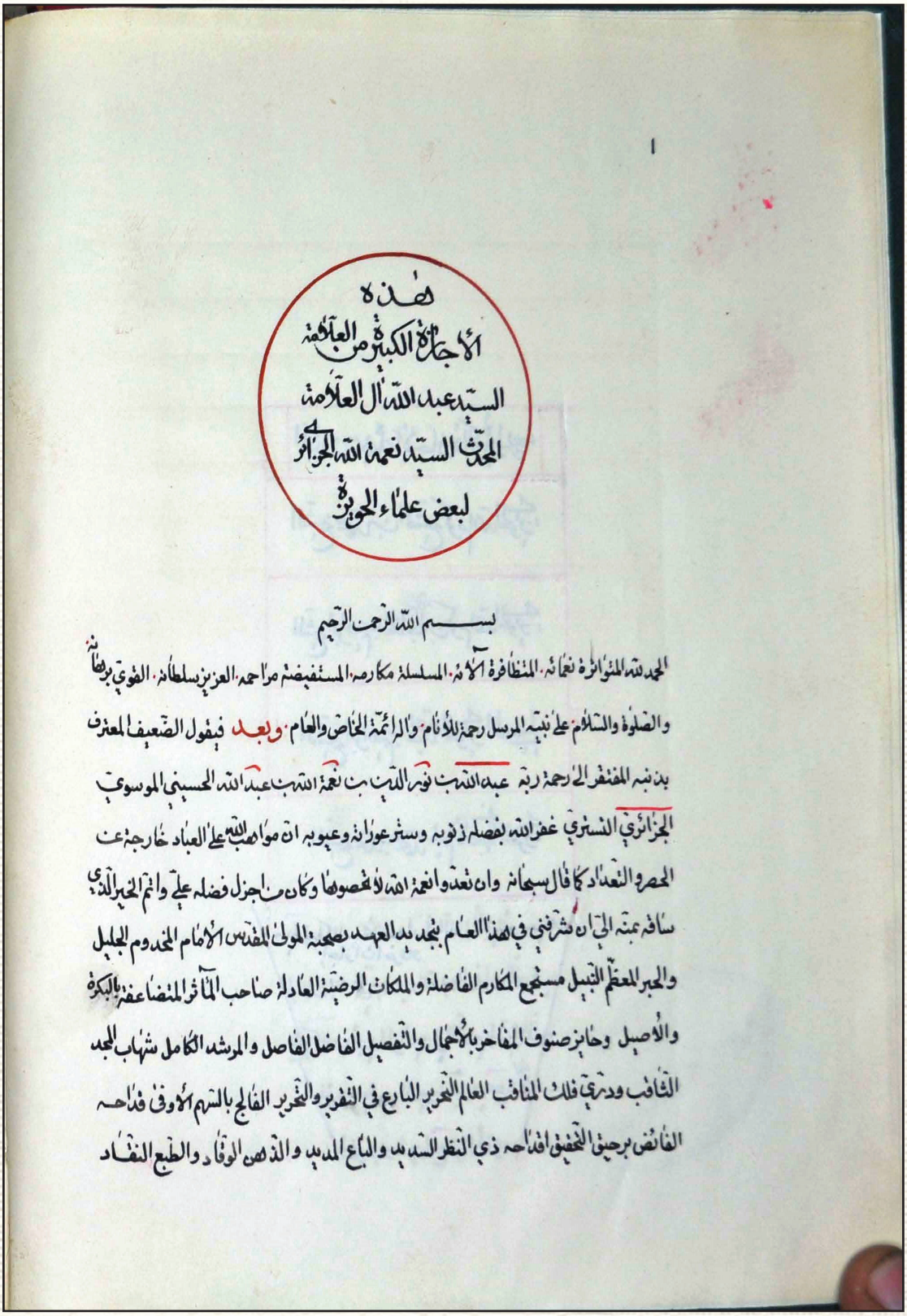

هذه
الأجازة الكبيرة من العلامة
السيد عبد الله آل العلامة
المحدث السيد نعمة الله الجزائري
لبعض علماء الحويزة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتواترة نعمائه. المتظافرة آلاؤه. المسلسلة مكارمه. المستفيضة مراحمه. العزيز سلطانه. القوي برهانه. والصلوة والسلام على نبيه المرسل رحمة للأنام. والرأفة الخاص والعام. وبعد فيقول الضعيف المعترف بذنبه المفتقر الى رحمة ربه عبد الله بن نور الدين بن نعمة الله بن عبد الله الحسيني الموسوي الجزائري التستري غفر الله بفضله ذنوبه وستر عوراته وعيوبه ان مواهب الله على العباد خارجة عن الحصر والتعداد كما قال سبحانه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكان من اجزل فضله علي واتم الخير الذي ساقه نحبته الى ان شرفني في هذا العام بتجديد العهد بصحبة المولى المقدس الامام المخدوم الجليل والحبر المعظم النبيل مستجمع المكارم الفاضلة والملكات الرضية العادلة صاحب المآثر المتضاعفة بالبكرة والاصيل وحائز صنوف المفاخر بالاجمال والتفصيل الفاضل الفاصل والمرشد الكامل شهاب المجد الثاقب ودرية فلك المناقب العالم النحرير البارع في التقرير والتحرير الفالج بالسهم الاوفى قداحه الفائض برحيق التحقيق اقداحه ذي النظر السديد والباع المديد والذهن الوقاد والطبع النقاد

أول مخطوطة الأجازة الكبيرة للسّيد عبد الله بن نور الدّين بن نعمة الله الجزائريّ (ت ١١٧٣هـ) نوع الخط (نسخ)

٥٨

لا يليق بابه * واجزته ايضا باجازتي عن شيخنا المحقق صاحب التفسير الموسوم بنور الثقلين
الشيخ عبد علي الحويزاوي عن شيخه المولى علينقي عن شيخنا بهاء الملة والدين واجزته ايضا باجازته
عن شيخي الشيخين الورعين الشيخ جعفر البحراني والشيخ الأجل الشيخ صالح البحراني عن اجازتهما
عن سيدنا السيد نور الدين عن اخويه الشيخ حسن وسيدنا السيد محمد صاحب المدارك واجزته
ايضا باجازتي عن سيدنا راوية الحديث السيد مهرزا صاحب كتاب جوامع الكلم عن شيخه المحقق
محمد بن خاتون عن شيخنا بهاء الدين واجزناه ايضا عن رواياتنا عن السيد الزاهد العالم السيد هاشم
الأحسائي عن شيخه الشيخ جواد الكاظمي عن شيخه بهاء الدين محمد العاملي واجزته ايضا باجازاتنا
ورواياتنا عن المولى الجليل المولى محمد باقر الخراساني وعن استاد اهل التحقيق الآقا حسين الخوانساري
وكلاهما بروياتهما عن النقي المجلسي عن شيخه بهاء الدين محمد العاملي الى غير ذلك من الطرق الكثيرة
واجزته ايضا جميع مؤلفاتي ورواياتي ودرايتي وفقه الله تعالى لبلوغ اقصى مراتب الكمال وبلغه
اعظم الآمال والمرجو من نفحاته القدسية والطافه الربانية انه
يجيبنا على صفحات خاطره الشريف في مظان الأجابات
واعقاب الصلوات * وكتب هذه الأحرف العبد
المذنب الجاني نعمة الله الحسيني الجزائري
عفي عنه ثاني ربيع المولود سنة الثمين
بعد الألف خاتمة مصليا مسلما
على محمد وآله الطاهرين ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم

هذه الإجازة وجدتها
في آخر كتاب الرجال للشيخ
عبد اللطيف الجامعي
جد الجاز، وكانت نسخة
الرجال من موقوفات
العلامة الشيخ محمد بن
يوسف آل محيي الدين
الجبعي العاملي، وقد
نقلت هذه الإجازة
عن خط العلامة الشيخ
جواد آل محيي الدين الجامعي
وقد ذكر في آخرها أنه نقلها
عن خط المجيز السيد نعمة الله
المذكور في الرابع والعشرين
من شهر محرم الحرام سنة ١٢٨٥هـ

(حرره محمد صادق آل بحر العلوم)

آخر مخطوطة الأجازة الكبيرة

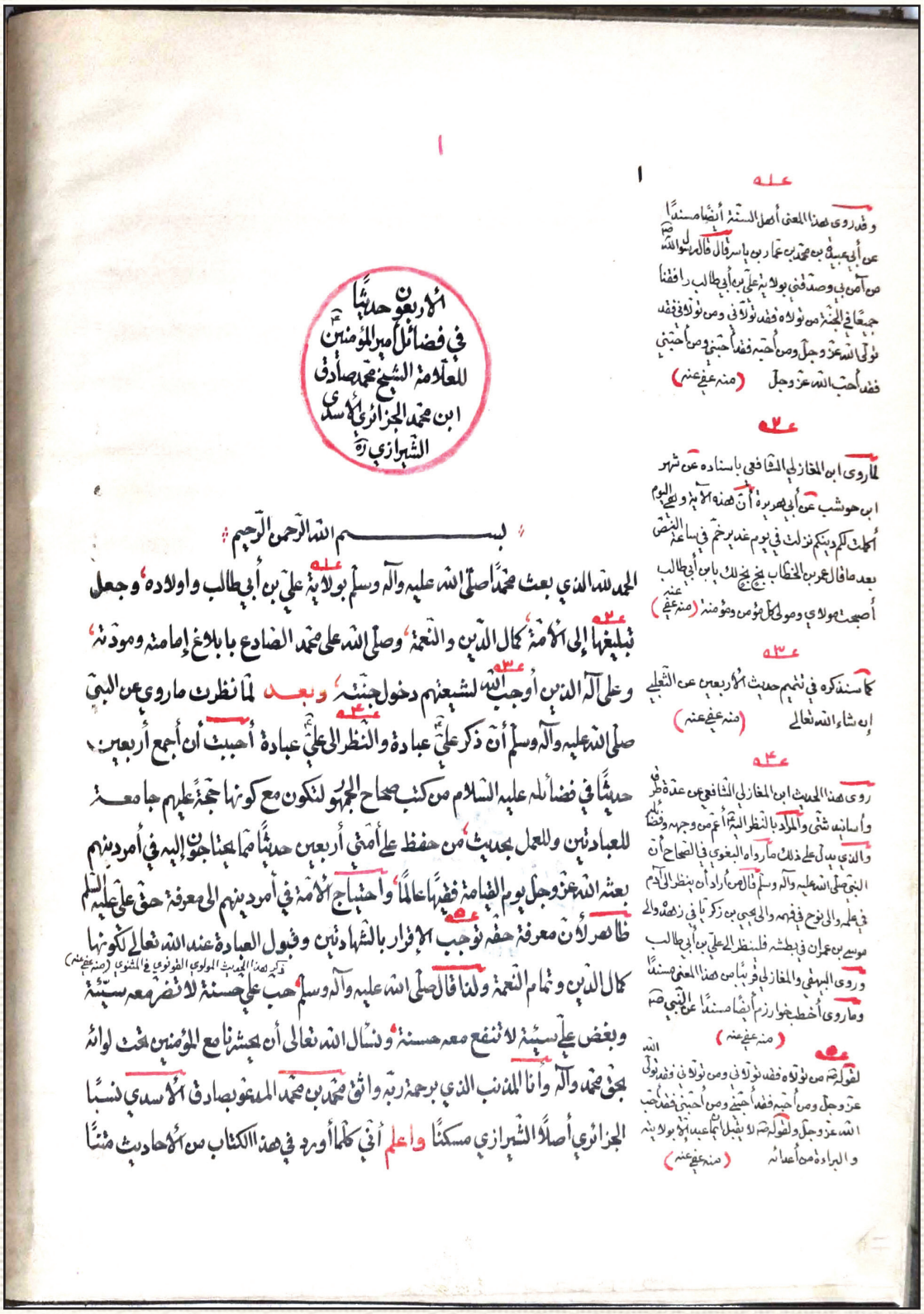

الأربعون حديثًا
في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام
للعلامة الشيخ محمد صادق
ابن محمد الجزائري الأسدي
الشيرازي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بعث محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم بولاية علي بن أبي طالب وأولاده، وجعل تبليغها إلى الأمة كمال الدين والنعمة، وصلى الله على محمد الضادع بابلاغ إمامته ومودته، وعلى آله الذين أوجب الله لشيعتهم دخول جنته، وبعد لما نظرت ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ذكر علي عبادة والنظر إلى علي عبادة أحببت أن أجمع أربعين حديثًا في فضائله عليه السلام من كتب صحاح الجمهور لتكون مع كونها حجة عليهم جامعة للعبادتين وللعمل بحديث من حفظ على أمتي أربعين حديثًا مما يحتاجون إليه في أمور دينهم بعثه الله عز وجل يوم القيامة فقيهًا عالمًا، واحتياج الأمة في أمور دينهم إلى معرفة حق علي عليه السلم ظاهر لأن معرفة حقه توجب الإقرار بالشهادتين وقبول العبادة عند الله تعالى لكونها كمال الدين وتمام النعمة ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم حب علي حسنة لا تضر معه سيئة وبغض علي سيئة لا تنفع معه حسنة، ونسأل الله تعالى أن يحشرنا مع المؤمنين تحت لوائه بحق محمد وآله وأنا المذنب الذي يرجو رحمة ربه وابن محمد بن محمد المدعو بصادق الأسدي نسبًا الجزائري أصلًا الشيرازي مسكنًا واعلم أني كلما أورد في هذا الكتاب من الأحاديث متنًا

عليه

وقد روى هذا المعنى أصل السنة أيضا مسندًا عن أبي سعيد به محمد بن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب رافقنا جميعًا في الجنة من تولاه فقد تولاني ومن تولاني فقد تولى الله عز وجل ومن أحبه فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله عز وجل (منه عفي عنه)

٢ه

لما روى ابن المغازلي الشافعي باسناده عن شهر ابن حوشب عن أبي هريرة أن هذه الآية وهي اليوم أكملت لكم دينكم نزلت في يوم غدير خم في ساعة النفير بعد ما قال عمر بن الخطاب بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة (منه عفي عنه)

٣ه

كما سنذكره في تتميم حديث الأربعين عن الثعلبي إن شاء الله تعالى (منه عفي عنه)

٤ه

روى هذا الحديث ابن المغازلي الشافعي من عدة طرق وأسانيد شتى والمراد بالنظر الرؤية أعم من وجهه وقفاه والذي يدل على ذلك ما رواه البغوي في الصحاح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى يحيى بن زكريا في زهده وإلى موسى بن عمران في بطشه فلينظر إلى علي بن أبي طالب وروى البيهقي والمغازلي في بابا من هذا المعنى مسندًا وما روى أخطب خوارزم أيضا مسندًا عن النبي صلى الله (منه عفي عنه)

٥ه

لقوله صلى من تولاه فقد تولاني ومن تولاني فقد تولى عز وجل ومن أحبه فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله عز وجل ولقوله صلى لا يقبل إيمان عبد إلا بولاية علي والبراءة من أعدائه (منه عفي عنه)

أول مخطوطة الاربعون حديثاً في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)

للشيخ محمد صادق بن محمد الجزائريّ الأسديّ الشيرازيّ (ح ١٠٨٢هـ) نوع الخط (نسخ)

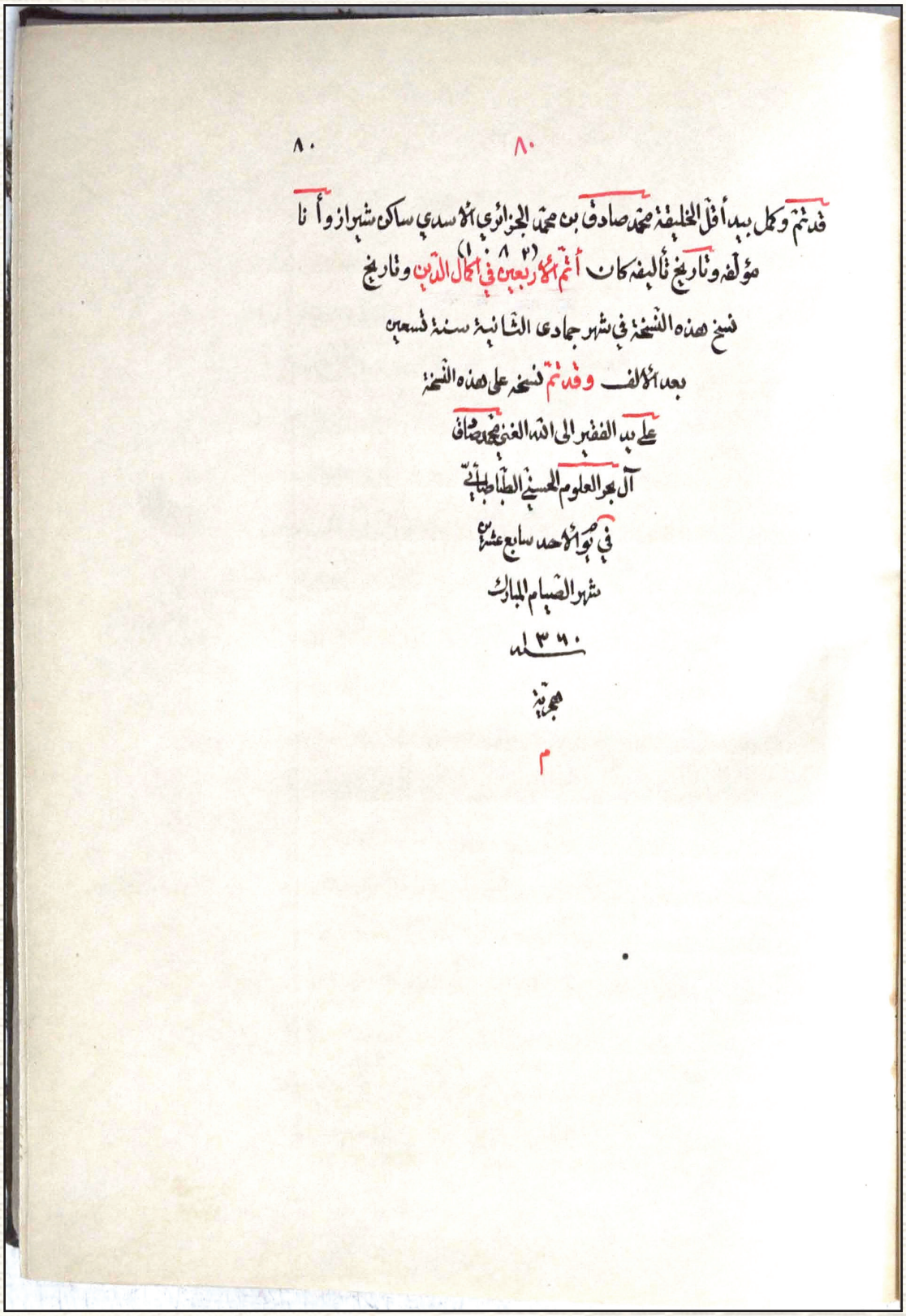

٨٠ ٨٠

قد تم وكمل بيد أقل الخليقة محمد صادق بن محمد الجزائري الأسدي ساكن شيراز وأنا
مؤلفه وتاريخ تأليفه كان أتم الأربعين في اكمال الدين وتاريخ
نسخ هذه النسخة في شهر جمادى الثانية سنة تسعين
بعد الألف وقد تم نسخه على هذه النسخة
على يد الفقير الى الله الغني محمد صادق
آل بحر العلوم الحسني الطباطبائي
في يوم الاحد سابع عشرين
شهر الصيام المبارك
سنة ١٣٦٠ هـ
مجتبى
٣

آخر مخطوطة الاربعون حديثاً في فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)

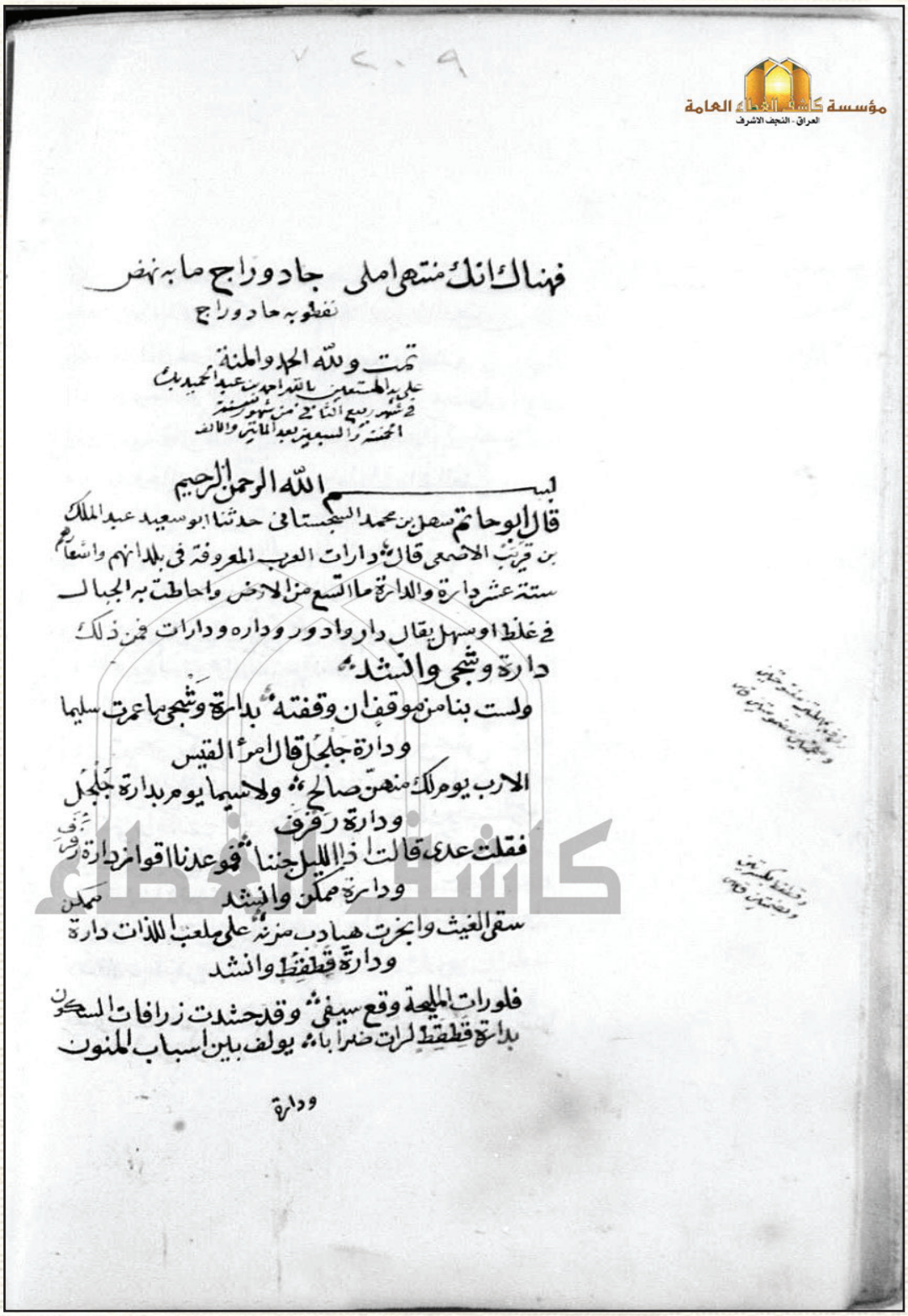

فهناك انك منتهى املى جاد وراج صابه نهض
نقطوبه جاد وراج

تمت ولله الحمد والمنة
على يد المستعين بالله احمد بن عبد الحميد بن
في شهر ربيع الثاني من شهور سنة
اثنتين والسبعين بعد المائتين والالف

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني حدثنا ابو سعيد عبد الملك
بن قريب الاصمعي قال دارات العرب المعروفة في بلدانهم واشعارهم
ستة عشر دارة والدارة ما اتسع من الارض واحاطت به الجبال
في غلظ او سهل يقال دار وادور وداره ودارات فمن ذلك
دارة وشجى وانشد

ولست بنامن موقفان وقفته ... بدارة وشجى بما عرت سليما
ودارة جلجل قال امرء القيس
الارب يوم لك منهن صالح ... ولاسيما يوم بدارة جلجل
ودارة رقرف
فقلت عدى قالت اذا الليل جننا ... فموعدنا اقوا مزدارة رقرف
ودارة مكمن وانشد
سقى الغيث وابخرت هبادب مزنة ... على ملعب اللذات دارة مكمن
ودارة قطقط وانشد
فلورات الملحة وقع سيفي ... وقد حشدت زرافات السكون
بدارة قطقط لرات ضرابا ... يولف بين اسباب المنون

ودارة

مؤسسة كاشف الغطاء العامة
العراق - النجف الاشرف
كاشف الغطاء

أول مخطوطة دارات العرب لعبد الملك بن قريب بن عبد الملك الاصمعي (ت ٢١٦هـ) نوع الخط (نسخ)

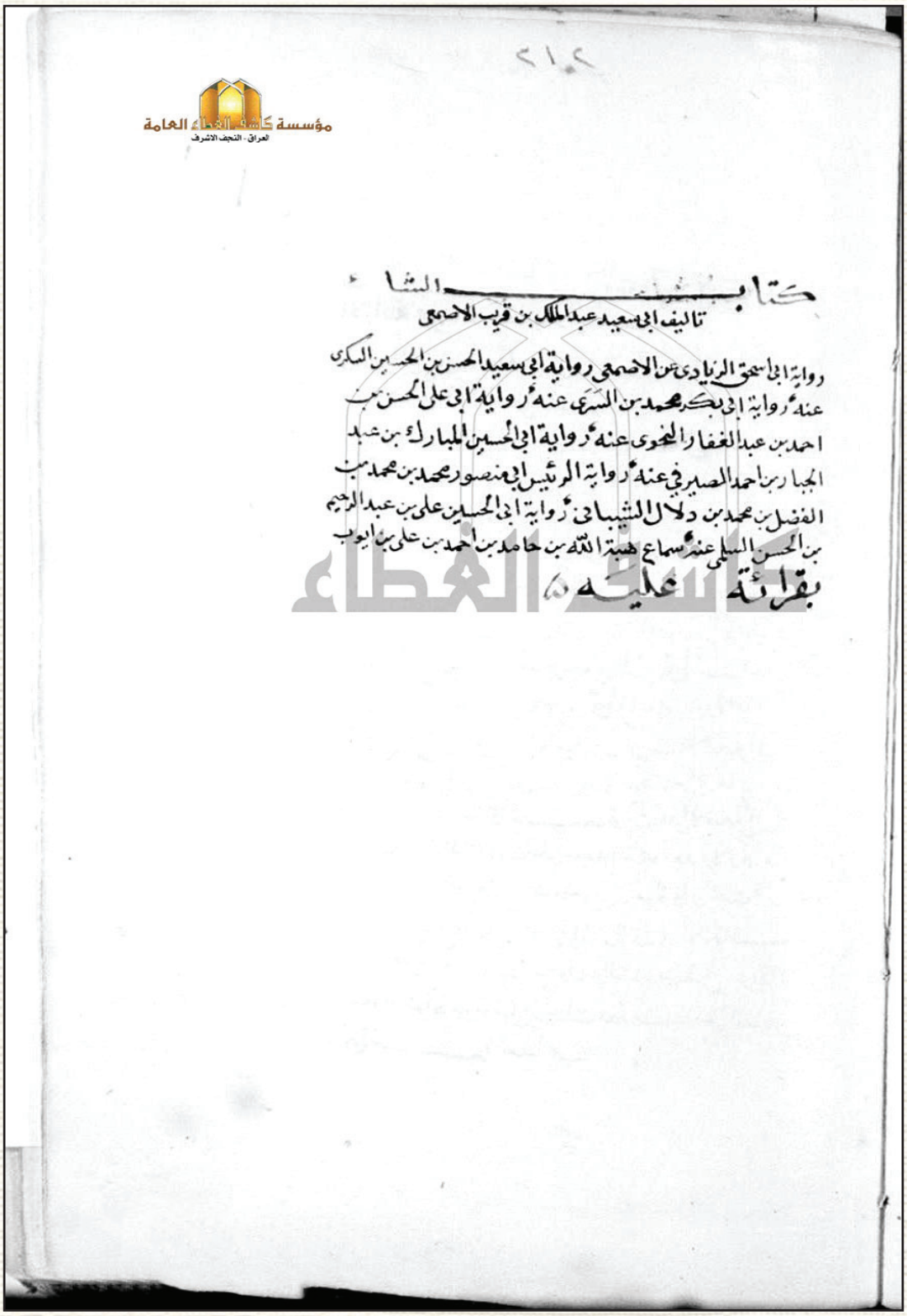

آخر مخطوطة دارات العرب

عملية تنظيف نهر العشار في البصرة عام (١٩٧١ م)

جني ثمار نخيل التمر في أحد بساتين التنومة في البصرة عام(١٩٧١م)

أحد البواخر التجارية في شط العرب(١٩٦٢م)

أحد زوارق الصيد في شط العرب(١٩٦٣م)

قرية الجيبوت ووصولات
تسديد المستحقّات الماليّة في العهد العثماني

د. مشتاق عيدان اعبيد

شغلت قرية الجيبوت مقاطعة رقم (٨) في ناحية المدينة آنذاك، بعد أن وضع العثمانيون نظامَ إدارة الولايات عام (١٨٦٤م) للحدّ من الإدارة الإقطاعيّة القديمة وربط الولايات بالسلطة المركزيّة، وتحديد صلاحيّة الولاة والمتصرّفين والقائمقامين ومدراء النواحي ومختاري القرى، وكان المختارُ يمثّل أصغرَ مأمور إداريٍّ في الولاية، وكان يساعدُ موظّفَ الحكومة في جباية الضرائب، فضلاً عن مهام أخرى.

وأوّل مختار لقرية الجيبوت كان صالح محمد العليبيج، وبعد وفاته عام (١٨٩٠م)، أصبح ابنهُ (علي صالح) مختارًا للقرية، وهو الذي ذُكر اسمه في وصولات التسديد الموجودة في خزانة حفيده (أمين عبد الله)، ويبلغُ عددها إحدى عشر وصلاً، وساعدنا

الدكتور (فاضل بيات) في ترجمتها من اللغة العثمانية، ومنها الوصل أعلاه، الذي يحمل عنوان (وصلٌ خاصٌّ بالمبالغ المسلَّمة إلى صندوق المال)، وتضمن المعلومات التالية:

- المستلم: أمين الصندوق محمود أفندي.

-القرية: الجيبوت.

-اسم المتسلم: بيد الكاتب عبد الله افندي من طرف المختار علي بدل مقطوع الجريب لسنة(١٣١٧هـ) .

-تم تسليم الوصل الذي يبيّن تسليم (٢٩٣) قرش لصندوق المال في قضاء القرنة .

- في(٤ جمادى الأولى ١٣١٧ هـ) (١٨٩٩م).

من جانبهم، أبدى العثمانيّون اهتماماً خاصّاً بالضرائب؛ كونَها تمثّل المورِدَ الأساسَ والوحيد لخزينة الدولة، وانّ (بدل مقطوع الجريب) الذي كان يدفع سنوياً، يفرض على ما تنتجه الأرض الزراعيّة ، أساس المساحة دون تفريق بين الحبوب والأشجار، وكما هو معلوم، فإن ناحية المدينة قد اشتهرت بزراعة النخيل، لاسيما بعد إنشاء السدّة الترابيّة، وكانت ولايةُ البصرة قبل أن يصبح مدحت باشا والياً على العراق عام(١٨٦٩م) ، يجري فيها الخرْصُ، أي: أنّ الحكومة كانت تُجري التخمينَ على النخيل؛ وذلك بواسطة خَرّاصين، وهؤلاء يضرّون بالفلّاحين، وتجري مظالم كثيرة، أمّا مدحت باشا، فإنّه توصّل مع الفلاحين وملّاكي الأراضي إلى اتفاق بعد زيارته لقضاء القرنة، وبعد أن أبدوا له مطالعاتهم، فوافق على (الجريب)، وألغي (الخَرْص)، وعُدّت هذه الطريقةُ أسهل وأسلم من غيرها، وليس فيها إجحاف بحقّ أحداً ومن ثَّم كانت تُجبى رسومات عن كلّ دونم (١٥) قرشاً سنوياً، فكانت تؤخذ المساحة كاملة، ولا يترك منها ما هو غير مغروس، ما دعا الناس الى أن يغرسوا الأراضي الخالية وما يتحمله الجريب، فلم تمض مدّة حتى قاموا بمهمة الغرس، ونشطوا للعمل، وتحوّل قدرُ النخلة الواحدة من (٤٠) بارة إلى (٣) قروش، مع الاستعانة بمختاري القرى للحصول عليها، وبذلك انتظم أمرُ النخل، وكان هذا الأمر جارياً في البصرة كافّة حتّى الاحتلال البريطاني عام (١٩١٤م).

القرنة - البصرة / ١٩١٦
جانب من جسر القوارب

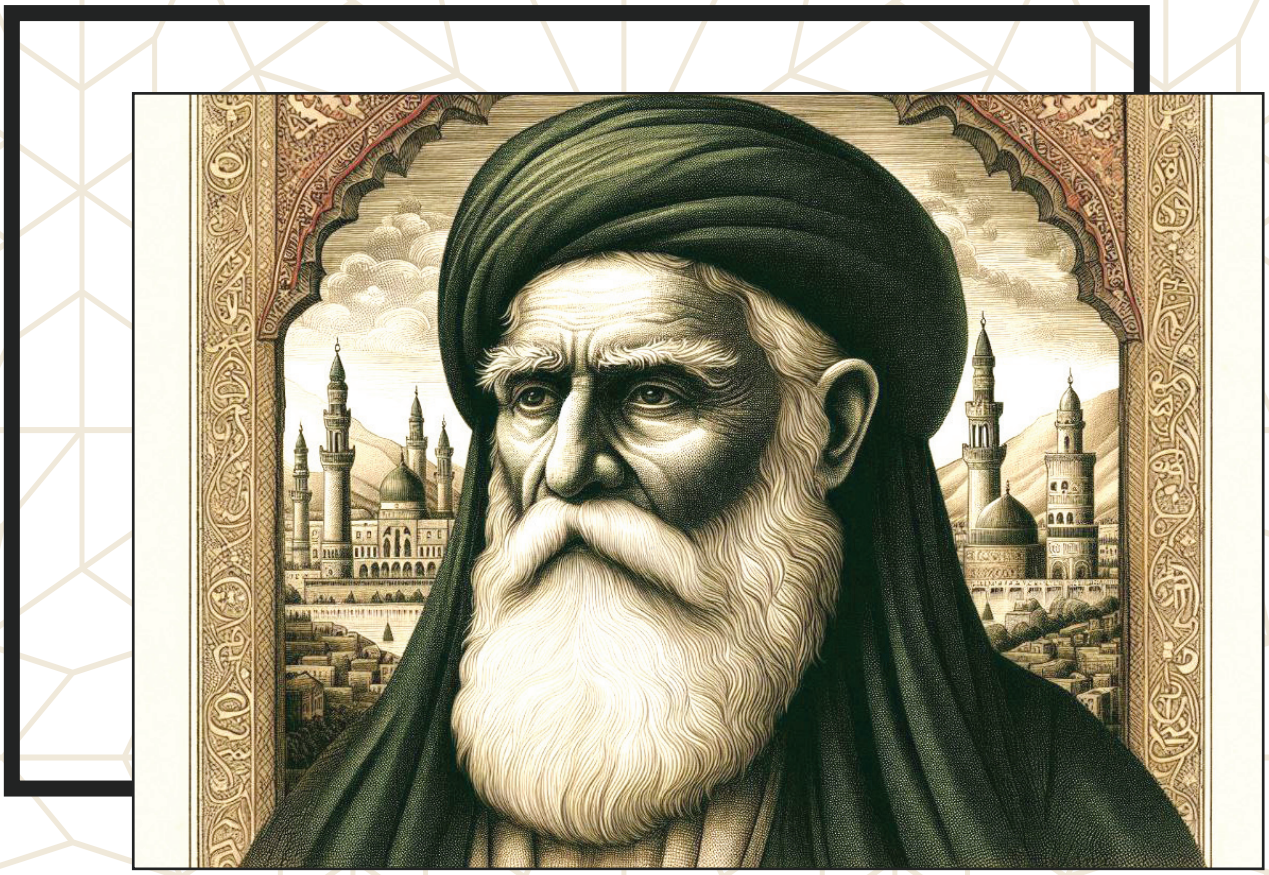

شيحةُ بنُ عبد الله البصريّ

الشيخ علي الغزّي

شيحةُ بن عبد الله بن قيس، أبو حبرة، الضَّبَعيُّ، البصريُّ، ممّن روى عن أمير المؤمنين، عمّرَ، مات بعد المائة في البصرة هرماً، لا عَقِب له[1]، ذكره ابن حبّان في الثقات قائلاً: «من أهل الْبَصْرَة، مِمَّن عمّر، وَكَانَ من العُبّاد، مَاتَ هرماً في عِبَادَته، رَوَى عَنْهُ أهل الْبَصْرَة شبيل بْن عزْرَة وَغَيره»[2]، وروى عن «أُخْت أبي حبرة شيحة بن عبد الله أَنّ أَبَا حبرَة وظّف على نَفسه أَن يذكر الله في كُلّ يَوْم أَرْبَعِينَ ألفاً»[3]، وفي مشاهير علماء الأمصار أنَّه «مِمّن كان يُكثِرُ الذِّكْرَ لله ليلاً ونهاراً، وتجرّد بالعبادة في السّرَّاء والضّرَّاء»[4].

(١) الطبقات لخليفة بن خياط: ١/ ٣٥٩/ ١٧١٥، والمعارف: ٤٦٧، الثقات ممَّن لم يقع في الكتب الستة: ٥/ ٢٧٩/ ٥١٨٢.

(٢) الثقات: ٤/ ٣٧٢/ ٣٤٠٨.

(٣) الثقات: ٨/ ١٦-١٧.

(٤) مشاهير علماء الأمصار: ١/ ١٥٢/ ٦٩٢.

رواياته

١/ ما روي في الكُنى والأسماء، للدولابيّ عن أبي عُمير عيسى بن محمّد النحاس، قال: حدَّثنا حجّاج بن محمّد، قال حدَّثنا أبو لبيد، عن شهاب بن صالح الثعلبيّ، عن أبي حبرة، وكان من أصحاب عليّ (عليه السلام)، أنَّهُ قال: جزاءُ المعصيةِ الوهنُ في العبادةِ، والضّيق في المعيشة، والتعسُّر في اللَّذة، قال: لا يصادف لذّةً حلالاً إلّا جاءَه ما يُنَغِّصُه إيّاها»[٥].

٢/ ما روي في الكُنى والأسماء، للدولابيّ عن «عمر بن شبة، عن الفضل ابن عبد الرحمن بن الفضل الهاشميّ، قال حدَّثنا عنبسة القطّان، عن أبي حبرة شيحة، قال: خطبنا عليّ (عليه السلام) على منبر الكوفة، فقال: «ألا أخبرُكم لَتُخَضَبَنَّ هذه من هذه - وأومأ إلى لحيته ورأسه - خضابَ دم، لا عطْرَ، ولا عبيرَ»[٦].

٣/ ما روي في الكُنى والأسماء، للدولابيّ عن أبي كريب، قال: حدَّثنا أحمد بن مالك، قال حدَّثنا عنبسة القطّان، عن شيحة أبي حبرة، قال: رأيت عليّاً (عليه السلام) على خشبات الكوفة، يقول: «يا بصرةُ، لتُحرَقِنَّ، ولَتَغْرقِنَّ، حتَّى يبقى مسجدُك، وبيتُ مالِكِ كأنّه جُؤْجُؤُ سفينةٍ»[٧].

وروى نظيره الدارقطنيّ في المؤتلف والمختلف عن عبد الله بن محمّد بن عبد العزيز، حدَّثنا أبو الربيع الزهرانيّ، حدَّثنا جعفر بن سليمان، حدَّثنا شبيل ابن عزرة، عن أبي الحبرة، قال: سمعتُ عليّاً (عليه السلام)، وهو بالبصرة: «ليظهرنَّ عليكم أهل الشام، ثمَّ لَيَعركنَّكم عرك الأقط، ثمَّ انصرَفَ. قال: ثمَّ قال: ويْحَ البصرة، لتحرقنَّ، أو لتغرقنَّ، حتى لا يبقى إلّا مسجدُها وبيت مالها كأنَّه جُؤْجُؤُ سفينةٍ»[٨].

٤/ ما روي في المعجم الكبير، للطبرانيّ عن محمّد بن عبد الله الحضرميّ، حدَّثنا سعد بن وهب الواسطيّ، حدَّثنا جعفر بن سليمان، عن شبيل بن عزرة، عن أبي حبرة، قال: صَحبتُ عليّاً (عليه السلام)، حتى أتى الكوفةَ، فصَعَدَ المنبرَ، فحَمِدَ اللهَ وأثْنَى عليه، ثمَّ قال: «كيف أنتم إذا نزل بذريَّةِ نبيِّكُم بين ظهرانيكم؟»، قالوا: إذاً نبلي اللهَ فيهم بلاءً حسناً. فقال: «والذي نفسي بيده لَيَنْزِلنَّ بين ظهرانيكم، ولتخرجنَّ إليهم فلتقتلنَّهم». ثمَّ أقبَلَ يقول:

«هُم أَورَدُوهم بالغُرورِ وعَرَّدُوا
أَحَبَّوا نجاةً لا نجاةَ ولا عذراً»[٩].

(٥) الكُنى والأسماء: ١/ ٤٠٢/ ح٧١٩.

(٦) الكُنى والأسماء: ٢/ ٤٤٤/ ح٧٩٦.

(٧) الكُنى والأسماء: ٢/ ٤٤٤/ ح٧٩٧.

(٨) المؤتلف والمختلف: ١/ ٣٨٩.

(٩) المعجم الكبير: ٣/ ١١٠/ ح٢٨٢٣.

(لُبَابُ ٱلعِصمَةِ)

حميدة العسكري /البصرة

يُهندِسُ ٱلضّوءُ في ٱلمِرآةِ طَلّتَهُ
فَيعكِسُ ٱلظِلُّ بالإيماضِ سُحْنَتَهُ
ظِلُّ ٱلبهاءِ كمِشكاةٍ يؤرجحُها
نورٌ مُحالٌ رأى ٱلزّهراءَ سُلّتَهُ
صلّى طويلا على أعتابِ جَنّتِها
يرجو تُباركُهُ ، تُؤتيهِ نُضْرَتَهُ
لاذَ ٱلضّياءُ بها يَكتالُ رونقَها
لِيُدهِشَ ٱلكونَ إذْ يكسوهُ بُردتَهُ دُرّيّةٌ ، خلعَتْ فوقَ ٱلغَمامِ ندىً
إذْ وشّحَتْهُ بياضًا زانَ طلعَتَهُ
قد لقّنَتْهُ حديثَ ٱلماءِ يُرسلُهُ ،
في قصّةِ ٱلطّلِ كيْ تَجلو قِيافتَهُ
ما ٱلسّرُّ في كونِها أُفقًا لناصيةٍ
للغيمِ ، بلْ كونِها في ٱلخلْقِ بُؤرتَهُ ؟ !
أُنظرْ لسِرٍ تَوارى خلْفَ عِصمَتِها ،
سِرٌّ عظيمٌ يُماهي ٱلغيْبُ غُرّتَهُ
سِرٌ تَصاحَبَ وٱلآفاقَ، مُذْ بزغَتْ مِنْ سُرّةِ ٱلعرشِ ، ما جافَتْ سريرتَهُ
تفاحةُ ٱلقدْسِ ما كانَ ٱلجديرَ بها
إلّا حبيبٌ ، وزكّى ٱللهُ ، نُطفَتَهُ
فهي ٱلرّهانُ لمَنْ في ٱلودّ ما نكصُوا ،
كانَتْ لوالدِها ، في ٱلعينِ قُرّتَهُ صِدّيقةٌ ، سكَنَتْ أمشاجَ صادِقِها
حتّى تلاشى بها ، تَرعى أُبوّتَهُ
طُهْرٌ بتولٌ ، لُبابُ ٱلعِصمةِ ، ٱقترَحَتْ
نَحْوَ ٱلرّضا فسحةً كانتْ محطّتَهُ

فَهي الرّضيّةُ لا يَشقى مُبايعُها
تُمَغْنِطُ ٱلكونَ لو رامَتْ مَحبّتَهُ
ما ٱجتازَها عابرٌ للّهِ وجْهَتُهُ ،
دونَ ٱلمرورِ لكي تَسقيهِ حُجّتَهُ
قالَتْ: تكفّلَهم ربُّ ٱلعِبادِ نَدىً
كي يُلهِموا ٱلوردَ أنْ يُغني حديقتَهُ
مقامُها زُلَفٌ وهوَ ٱلسّنامُ بلا
سَبْقٍ لواهمةٍ تحتلُّ قِمّتَهُ
مِنْ أحجياتِ ضياءٍ فارهٍ أَلِقٍ
يَستلُّهُ أُفُقٌ يحتاجُ ضَمّتَهُ و ٱلدّربُ عاريةٌ مِنْ شوْكِ مَنْ وقفُوا
على نقيضٍ ، فَقد أغنَتْ مسيرَتَهُ
زهراءُ أنبتَها ذو ٱلعرشِ سُنبلةً
في حقلِ أحمدِها تُؤتيهِ حِنطتَهُ
قدْ أُذهِلَ ٱلفكرُ مِنْ أخبارِ مَهْبَطِها ،
(طوبى) أَرومتُها ، أَزْجَتْهُ دهشتَهُ
حارَتْ كماءٍ على أنبائِها أُمَمٌ
كَدورةِ ٱلعِلْمِ ، مَنْ يجتازُ دورتَهُ ؟ !
أُولى ٱمتحاناتِهمْ إنْ يُبعَثُوا رُسُلاً ؛
أنْ يحفظُوها يقينًا شادَ قُبّتَهُ
فالكلُّ مُمتَحَنٌ، ما كُنْهُ فاطمةٍ ؟
حتى مُحمّدُها يُعطي إجابَتَهُ
رَوْحٌ مِنَ ٱللهِ قدْ مُدّتْ إلى أُمَمٍ
كانَتْ مِنَ ٱلخَلْقِ في ٱلتكوينِ عِلّتَهُ

قِصَّةٌ قَصِيرَة

في بَيْدَر الدُّخن

محمد البصريّ

نملةٌ أعياها التسلّقُ وهي تشقُّ سبيلها العاصي العصي ، تتسابقُ .. تحثُّ الخطى ، الدُخنُ الأملسُ يَضحَكُ على أقدامها المنزلقة ، رفيقاتُها اللواتي خضنَ المخاض السهلَ يتسابقنَ على عَدّ المسافات ... أعياها البحثُ .. وهي تصيح بلا جواب ، الدُخن شاهدٌ على كدِّها ، وملكةُ القرى تتحرّى الوجوه .. هي ترنو إلى الجائزة .. تزيدُ من وعودها الجائرة ، التلالُ الوهميّةُ المذهَّبةُ راحت تستجلي التماعاتِ القشور .. وهي تبارك شموخَ الطينِ أمامَ الناطحات التي تبوسُ العَنان ، الطوّافات التي مرَّت بها .. المدنُ التي أغلقت أبوابها ، القرى المتهادية على هفاف السنابل ، القشورُ التي تتحدّى الانعكاس .. تزيدُ من كدّها ، إصرارها في بلوغ المسافات . القدرةُ المشفوعة بالتردّد ، الإرادةُ المنقسمة ، عوالمُ من جبال وسهول ووهاد .. الانقسامات التي تنهل منها ، فيضٌ من كبوات ، المشهدُ المستبدُّ المشتبك يضحكُ عليها .. وهي تكثر من العثرات ... السَّقطات التي لا ترحم ، المغارات التي مرَّت بها ، أشكال الرؤوس.. امتزجت بين البراءة ورجس الشياطين .. الخيال الخطيئة ، وأوثان النفس ، تمرُّ عليها .. شريطاً من ذكريات لا ترحم . القصصُ والرؤى والشطحاتُ .. أغنية من سراب بعيد . حُبيبات الدخن التي لا تستحي ، تكثر من ضحكاتها ، وتلك السيقان الخائبة التي تتسلَّق لتعود إلى نقطة البداية القلقة .. تغوص في العُباب المصفرّ ، والسنابل المجنونة ، التأملات التي ترسمها ، صورٌ لا تعرف النهايات ، تتأرجح في رحابها ، تزيدُ من التقصّي في اللاشيء ، أشكال الأرض الدحوّية والمنبسطة والمتعرّجة ، لا تعرف للحقّ طريقاً .. وهي تحثّ خُطاها المحمّلات بالخيبة . الهاجس الذي يرادف سيقانها المتلاشيةَ يصرخ : لا أمان للشواطئ . تمنَّت كلَّ شيء ، حتّى ذئاب البراري وأسود الغاب وضباعَ القِفار ، ولكن .. الصوت الخارج منها .. وركام الأمل المنبثق يرسم لوحة للصمود المنتكس .

تتدثّر بجسدها الغضّ ، الحساب الذي ينتظرها يزيدُ من لوعتها ، مشاعرُ الإثم التي هيمنت على روحها ، البهاءُ واللمعان اللذان أثقلا عينيها ، مدنٌ من سراب مشتعل ، لطالما استشعرت خُطاها ، ذلك الرقيب الذي يقف وقوراً خلف مدن الانعكاس ، ترتدّ خطاها من جديد .. ولكنَّ حُبيبات الدُخن المنزلق تتّكئ على بعضها ، لا تحترم الإيثار .. يزيدُها ذلك النفور الغريب . الإعياء والملل الذي أصاب الحبيبات الواهنة .. التي لا تصمد ، يزيدُ من ملحمة الانقسام ، وأسطورة الهزيمة ... العوالم المتقلّبة .. المدن المتداعية .. القرى المتهالكة .. عالم من سراب مهادن .

ترتدُّ الأرض بمن فيها ، لتعلن عن خيبتها من جديد ، وذلك الفردوس الذي ينأى بلا رحمة . الأملُ الفاتر حلّ بها ، يتحيّنُ عيونَ الأمل المؤجّل ... لكنّها تزيد من تسلقها للجبال الصُّفر وهي تحمل سرُّ الموت .. الإشراق الذي يحيطها ، النور الذي أعلن انتشاره، واللمعان المحتضر ... كلّ الأشياء مبَّيته متوارية، ترصد خُطواتِها المتخبّطة وهي تزيح جدار الاصفرار، جدار الموت الذي يسبق الوهن ، الأصوات التي تكالبت عليها تحثها على الهزيمة .. توغل في الوهن والفتور .. في الانشطار .. لكنّها تعيد أسطورة الكدّ والجدّ ، تزاحم مملكة النحل ، ومواطن الجرذان .

لكنّها الفضاء الذي يشخص بلا استحياء ، ينتصب بشموخ ، متجاهلا ذلك الكدّ الذي يزاحم المستحيل . في خلوتها المزدحمة ، وتأمّلاتها الصاخبة ، ثمّةَ بريقٌ ، يقود إلى فسحة كاذبة . السبل المعبّدة بالوحشة ، والحركات المتوثبّة التي تستحضر البعيد ، تغازل الشمس وهي تتوارى خلف غمامات الأمل . السنابل المتعرية من بنيّاتها ، ترصد المشهد المتهادي ، وهي تغالب محنتَها بالجهد الملح ، الطرق المنسوخة التي خلفتها ، كالأمل المبدد ... هناك بين ثورة الاصفرار بأنَ خيط من نور ، لعلّه آخرثُ مراحل الموت ، الغشاوة التي ترتسم أمامها ، فيض من عوالم منتكسة .

.... أخيراً .. ها هو النور قد بان ، وتلك هي فسحة الأمل المشتعلة ... بيدرُ الدُّخن الذي عاد كالأسطورة يزيد من مشيتها .. وهي تعود حاملةَ حبّةَ دخُن ... أو بقايا فتات.

الحَياء

رؤى الجُبوريّ

ـ هيّا يا سَلمى، أسرعي، سيفوتنا الدرس.

ـ حَسَنٌ حَسَنٌ، أنا آتية .

ـ وقفتُ أمامَها وأنا أعتذر، آسفةٌ، لقد تأخّرتُ في وضع مَساحيق التجميل.

ـ لا عليكِ، المهمُّ أن نلحقَ بدرسنا، هَيّا بنا ..

ـ الجوُّ شديدُ البرودة.

ـ أَجَل واللهِ، ردَّت عليها سلمى ثمّ ابتسمت.

ـ ما رأيُكِ يا جنانُ، هل نتسابق إلى المدرسة؟

ـ ماذا؟ نتسابق ؟

ـ أجل، نركضُ إلى المدرسة حتى لا نتأخّر، وكذا حتّى نشعرَ بالدفء.

ـ إنّها فكرةٌ جميلةٌ، هيّا بنا.

أخذنا نتسابقُ بالرّكض في الشارع حتّى وصلنا قربَ المدرسة، توقّفنا ونحن نلهثُ ونتعرَّقُ.

ـ هههه، أنظري ياجنانُ، أَلم أقل لكِ سنشعرُ بالدفء؟

ـ هههه، أجل، إنّي أتعرّق، إنّها طريقةٌ جميلةٌ لتدفئة أجسادنا ، وكذا للوصول إلى المدرسة دون تأخير.

ـ هههه، وكذا تعدّ رياضةً للترشيق، هههههه.

ـ صدقتِ يا سلمى، إذا استمرّينا بالركض يوميّا، فسوف نحصل على أجسادٍ جميلةٍ رشيقة.

ـ توقّفي يا جنانُ، لندخل إلى هذا المتجر لنشتريَ قنّينةَ ماءٍ، فأنا أشعرُ بالعطش بعد هذا الجهد الذي بذلتُه بالركض.

ـ هيّا بنا.

ـ صباحُ الخير يا عمّ، نريد قنّينةَ ماء من فضلك.

ـ حسنٌ، تفضّلي يا ابنتي.

قدَّم الرجلُ قنّينةَ الماء لسلمى، وقال: بنيَّتي، لقد رأيتكنَّ تركضنَ في الشارع، عساهُ خيراً؟

ضحكت سلمى وهي تنظر إلى جنان التي بادلتها بدورها الضحك، وقالت: لا يا عمُّ؛ فنحن نركض حتى نشعر بالدفءِ، وكذا يعدُّ الركضُ رياضة للترشيق.

هزَّ الرجلُ رأسَه، وقال: فعلاً بُنيّاتي، إنّ الركضَ رياضةٌ جميلةٌ.

ـ هل تسمحنَ لي بسؤال؟

ـ تفضّل يا عمُّ، أجابت جنانُ ..

هل تقرأْنَ القرآن ؟

نظرَت سلمى لجنان وهي متعجّبة.

ـ أَجَل يا عَمُّ، نقرأ القرآن.

ـ جيّدٌ، بارك الله لكنَّ .

ـ هل قرأتُنَّ الآيةَ الكريمةَ (٢٥) من سورة القَصَص: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾، صدق الله العلّي العظيم؟

ـ ردّت سلمى وجنانُ: أجل يا عمُّ، قرأناها.

ـ وهل تعلمينَ لماذا اهدر نبيُّ الله موسى (على نبينا وآله وعليه السلام) عشرَ سنواتٍ من عمره مهراً لزوجته؟!

صارت سلمى وجنانُ تنظرانِ إحداهُما إلى الأخرى بتعجُّب، ثمَّ ردّت سلمى قائلة: لا، لا نعلم لماذا .

ابتسمَ الرجلُ وهو ينظر لهنَّ، وقال: لأنَّها أتت تمشي على استحياء، لم تكن تركضُ في الشارع، ولم تتبرَّج للخروج، ولم تكن حتّى مسرعة في مشيها، كانت تمشي على استحياء.

أطرَقَت سلمى وجنانُ رأسيهما إلى الأرض، ثمّ قالت سلمى: الآن عرفنا يا عمُّ، شكراً لك على جميل الموعظة، وعلى الأسلوبِ المحترمِ لتقديمها.

الإنسان والدنيا

الشيخ الدكتور محمود العيداني

نسمع على الدوام ذمّاً للدنيا والتقليل من شأن مَن أقبل عليها، حتّى يخرج هذا الذم عن مستواه الطبيعيّ؛ بحيث يؤثر على الانسان في ترك الدنيا وكلّ ما يرتبط بها، فأين الصحيح من هذا الذم؟ وهل هو صحيح مطلقاً؟ وما حدوده الصحيحة عند الشرع؟ وهل هناك دنيا ممدوحة وأخرى مذمومة؟

يجيبنا عن هذا السيّد نعمة الله الجزائري (قدس سره) في كتابه الرائع (الأنوار النعمانية) فيقول:

«وحيث انتهى الحال بنا إلى هنا، فلا بأس بتحقيق الدنيا، وأنّها عبارة عن أي شيء؟ وما المراد بالدنيا التي أطبق أهل الله على ذمّها؟ وما المراد بالدنيا التي مدحها أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض مواطنه؟ وذلك أنه (عليه السلام) سمع رجلا يذمُّ الدنيا، فقال:

«أَيُّهَا الذَّامُّ لِلدُّنْيَا، الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا، الْمُنْخَدِعُ بِأَبَاطِيلِهَا، أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُّهَا؟! أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ؟! مَتَى اسْتَهْوَتْكَ؟ أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ؟ أَبِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبِلَى أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى؟ كَمْ عَلَّلْتَ بِكَفَّيْكَ؟ وَكَمْ مَرَّضْتَ بِيَدَيْكَ تَبْغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الْأَطِبَّاءَ لَمْ يَنْفَعْ أَحَدَهُمْ إِشْفَاقُكَ، وَلَمْ تُسْعَفْ فِيهِ بِطَلِبَتِكَ، وَلَمْ تَدْفَعْ عَنْهُمْ بِقُوَّتِكَ، قَدْ مَثَّلَتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ، وَبِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ.

إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا، وَدَارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا، مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللَّهِ، وَمُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللَّهِ، وَمَهْبِطُ وَحْيِ اللَّهِ، وَمَتْجَرُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، اكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ، وَرَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ، فَمَنْ ذَا يَذُمُّهَا وَقَدْ آذَنَتْ بِبَيْنِهَا وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا وَنَعَتْ نَفْسَهَا وَأَهْلَهَا، فَمَثَّلَتْ لَهُمْ بِبَلَائِهَا الْبَلَاءَ، وَشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ، رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ، وَابْتَكَرَتْ بِفَجِيعَةٍ؛ تَرْغِيباً وَتَرْهِيباً وَتَخْوِيفاً وَتَحْذِيراً، فَذَمَّهَا رِجَالٌ غَدَاةَ النَّدَامَةِ، وَحَمِدَهَا آخَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ذَكَّرَتْهُمُ الدُّنْيَا فَذَكَرُوا، وَحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا، وَوَعَظَتْهُمْ فَاتَّعَظُوا».

ولم يُعهد منه (عليه السلام) مدح للدنيا سوى هذا الموضع، نعم رُوِيَ عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: «لا تسبّوا الدنيا؛ فنعمَ المطيّةُ للمؤمن، عليها يبلغ الخيرَ، وبها ينجو من الشرّ، وإذا قال العبد: لعن اللهُ الدنيا، قالت الدنيا: لعنَ اللهُ أعصانا لربّه».

وأمّا ذمّهُ لها، وأنّه طلّقها ثلاثَ مرّات لم يرجع فيها، فهو مشهور، وفي الكتب مسطور، وحينئذ، فما المراد من الدنيا المذمومة؟

فنقول:

قد غلطَ أكثرُ الناس في المراد منها؛ فقيل: هو الدهر، وقيل: هي الأسباب، وقيل غير ذلك، وهذا كلُّهُ ظاهرُ البطلان؛ أمّا الدهرُ والأيّام والليالي، فقد عرفتَ أنّه (عليه السلام) نهى عن ذمّها وسبّها، وأنّ من سبّها، كان آثماً، مع أنّها مخلوقاته سبحانه؛ خلقها لانتفاعنا بها.

وأمّا الاموالُ، فقد ورد في الأخبار: نعمَ المالُ الصالحُ والولدُ الصالحُ للعبد الصالح، ولأنّ بالأموال يُنالُ ثوابُ الصدقات، وإعانةُ المُحتاج، وإغاثةُ الملهوف، وكلُّ مقام من المقامات.

وأمّا الجاهُ والاعتبار؛ فلأنّ منه قضاءَ حوائج الاخوان، التي قال فيها الصادق (عليه السلام): «إنّ من طافَ بالبيت أسبوعاً، كتبَ اللهُ

له ستّةَ آلاف حسنةٍ، ومحى عنه ستّةَ آلافِ سيّئةٍ، ورَفعَ له ستةَ آلاف درجةٍ»، ثمّ قال: «وقضاءُ حاجة المؤمن أفضلُ من طواف وطواف وطواف حتّى عدَّ عشراً».

وأمّا المنازلُ والدورُ، فكذلك أيضاً؛ لأنّه قد ورد أنَّ الدارَ الواسعةَ من روح المؤمن في الدنيا، وللاحتياج إليها في بقاء نوع الانسان.

فالحاصل: إنّ الدنيا غير هذا كلّه، وهي الحالةُ التي تبعّدُ الانسانَ من ربّه وإنْ كانت هي الصلاةَ، كما أنَّ الاخرةَ هي الحالة التي تقرّب الانسان من ربّه وإنْ كانت العسسيّةُ؛ وذلك لأنّا شاهدنا من واظبَ على الصلواتِ والأذكار من الصوفية وغيرهم ولم يكن لهم نيّةٌ سوى إقبال الناس عليهم وتوجّههم إليهم في هذه الصلاة وهي الدنيا.

وأمّا كونُ الأمور الدنيويّةِ في الظاهر أموراً أخرويّةً، فقد بلغني أنَّ جماعة من المؤمنين من أهل العراق قصدوا الشامَ لبعض مطالبهم، فسكنوا في بعض خاناتها، فخرجوا من سَحَر تلك الليلة إلى الحمّام أو المسجد، فأخذَهم غلمانُ العَسَس، وقيّدوهم، وأتوا بهم إليه، واتّفق في تلك الأوقات كثرةُ اللصوص في تلك البلاد، فلمّا أوقفوهم بين يديه، قالوا: إنّ هؤلاء لصوص، وكان ذلك الرجل عظيمَ الهيكل، عليه لباسُ الروم، فلمّا رفعَ بصرَه إلى المؤمنين، سألهم عن بلادهم وأحوالهم، فقالوا له: إنّا من أهل العراق، فعرفهم أنّهم من الشيعة، فقال: هؤلاء لصوصٌ من الرافضة، فحلف أن يصنع بهم أنواعَ السياسات، فأخذتهم غلمانُه، وأمر أن يُحبسوا بمنزله حتّى يجيء هو ويقتلهم، فأتوا بهم، وحبسوهم، فلمّا كان قربَ الصبح، أقبلَ العسسُ إلى منزله وهم قد تيقنوا القتل، فلمّا وصلَ إلى بيته وتفرق عنه جلاوزته، غلقوا بابَه، فخرج بعضُ خدّامه بثياب بيض، فخلع تلكَ الثياب وفُرش له مصلّاه، وإذا فيه سجدةٌ وسبحةٌ وقرآنٌ وصحيفةٌ، فصلّى بتضرّع واستكانة وبكاء، فلمّا استتمَّ تعقيبَه، أمرَ بإحضار المؤمنين، فقال لهم: أيّها المؤمنون، أنا مثلُكم شيعيٌّ، ولي من غلّات الأملاك ما يفضلُ عن مؤنتي، وليس لي احتياجٌ إلى هذا المنصب، ومع هذا في كلّ سنة أعطي السلطانَ مبلغاً جزيلا حتّى يعطوني هذا المحلّ، وليس هذا ـ والله ـ إلّا للخوف على أمثالكم من الشيعة؛ حتّى لا ينالَ الضررُ أحداً منكم؛ لأنّ كلَّ عَسَس تقدّمَني كان إذا ظفر بالشيعة، أنزل بهم أنواع البلاء.

وقد شاهدنا مثله في اصفهان، فهؤلاء قد حصّلوا الجنّةَ بكونهم أعساساً.

وفي الحديث: أنّه ربّما دخل المسجدَ رجلانِ: صالحٌ وفاسق، فلمّا خرجا، كُتب الصالحُ فاسقاً والفاسقُ صالحاً؛ وذلك أنَّ الصالحَ إذا رأى أهلَ المسجد يدلّ عليهم بعبادته ويحقر اعمالهم بالنظر إلى عمله، فتكونُ عبادتُه تلك من الأمور الدنيوية، وأمّا الفاسقُ، فإنّه إذا نظر إلى أهل العبادة في المسجد، ندمَ على ما وقعَ منه من أنواع المعاصي، فيُكتبُ بهذا من الصالحين، فيكونُ أنواعُ فسقه وسيلةً إلى دخوله الجنّة.

ورُويَ أنَّ الرجل ربّما أذنب الذنبَ فدخلَ به الجنّةَ، فقيل له: كيف ذلك؟ قال: لأنّ ذلك الذنب يكون نصب عينه، فيكون خائفاً منه، فيُدخلُه اللهُ الجنّةَ بذلك الخوف منه والفزع.

وبالجملة، فالدنيا المذمومةُ هي الحالاتُ والأسبابُ الحائلةُ بين العبد ومولاه، وأمّا الممدوحةُ، فهي تلك الحالات والأسباب أيضاً، لكن من جهتها الاخرى، وهي جهة القرب إليه سبحانه».[1]

بالشكر تدوم النعم.

(١) الأنوار النعمانيّة، ج٢، ص١٥٢ـ ١٥٤.

اليوخان.. وتجارة التمور في البصرة

عبد العزيز مسلم

تعدُّ مدينة البصرة – سابقاً- المدينةَ الأولى عالميّاً في زراعة النخيل؛ إذ تنتشرُ البساتينُ على جانبيَ شطّ العرب، امتداداً من شمالها، مدينة (القرنة)، وصولاً لأقصى نقطة من جنوب العراق والبصرة، مدينة (الفاو)، فعُرفت بكثافة نخيلها وحَلاوة تمرها، وكان يُقدّر عدد نخيل العراق – سابقاً- بـ (٣٥) مليون نخلة، وكان نصفُها – تقريباً- في البصرة[١]، فكان أغلب أهالي البصرة يعملون في مجال التمور، سواءً أفي (الجراديق)- وهي أماكنُ تخزين التمور التي يتمّ جمعُها من المزارعين- أم في (الجوخان)، أو كما يسمّيه أهالي قضاء أبي الخصيب بـ(اليوخان)، واليوخان هو: مكانٌ لجمع التمور بعد قطفها، وهو عبارة عن مساحةٍ مفتوحة من الأرض يتوسّط موقعُها بين الشطّ والنهر الفرعي (الشاخة)؛ كي يسهل على أصحاب المراكب نقلُ التمور منه إلى (الجراديق).

يمتد اليوخانُ إلى مسافة طويلةٍ، ويكون مفروشاً بالحصران (البـواري)، وعلى كلّ (بارية) نوعٌ واحد من التمور؛ كي يسهلَ على البائع والمشتري تقسيمُ نوع التمر، وكذا يوجد في (اليوخان) بيتٌ من الخوص أشبه بالخيمة أو الصريفة يطلق عليه (الكبرة) أو (السوباط)، ويختص هذا المكان بعمل الدبس وطبخ الغذاء وتناوله واستراحة العمال واستقبال الضيوف، وخاصةً الذين يقدمون من دول الخليج للتجارة مع أهل

(١) – يُنظر: النخلة سيدة الشجر، عبد القادر باشا اعيان:٥٨.

البصرة بالمقايضة؛ إذ كان هؤلاء يجلبون معهم القماشَ وبعضَ أنواع السمك كـ (الكَباب) و(الخبّاط) و (المْتوت)[٢] ، وغيرها ، فضلاً عن (العلك المستكي) و (الحلاوة المستكيّة) والبخور (بخور مكة ، بخور جاوي) والعطور (دهن العود، ودهن الورد، و غيرها) و (الوزارة)، وهو لباس البحَّارة ... والعديد من الأشياء الأخرى، فكانوا يتقايضون بها مع أهل البصرة مقابل (التمر، والدبس، والخلّ وخلال البريم، والجبجاب المطبوخ)، وبعد ذهاب الضيوف وتصفية (اليواخين) من التمور، تبقى بعض التمور المتناثرة في المكان ، فتقوم مجموعةٌ من الأهالي يطلق عليها (الطَّوّاشة أو الطوش) بجمع هذه التمور واستخدامها علفاً للمواشي بعد غليها بالماء مع نخالة الطحين .

(٢) - نوع من أنواع السمك الصغير جداً المُمَّلح.

وبعد كلّ هذه الأعمال التي يبذلها البصريّون في (اليواخين)، يبقى أمامهم تنظيفُها من بقايا التمور ، ولأنّ المسألة لم تكن سهلة، فإنّهم في بعض الأحيان كانوا يتركون أمرَ تنظيفها إلى نزول أوّل مَطرة غزيرة في فصل الشتاء؛ لتغسل ما تبقّى من التمور التالفة والدبس المتبقي، وهذه المطرة بالذات لها ميزتها عند أهل البصرة، فأطلقوا عليها تسمية خاصّة وهي (مطر غسَّالة اليواخين)؛ بسبب غسلها لليواخين، وعادةً ما تكون هذه المطرة في آخر أيّام شهر تشرين الثاني، وتكون معلنةً بذلك استقبالَ فصل الشتاء، الذي يأتي متأخِّراً في محافظة البصرة عن بقية المحافظات؛ لأنّ شتاء البصرة ينحصر في شهرَي كانون الأول وكانون الثاني.

واليوم بقيت (اليواخين) مجرّد حكاياتٍ تتردّد على ألسنة كبار السن وغابت معالمُها عن أنظار البصريّين بغياب تلك الغابات الخضراء المليئة بأشجار النخيل.

قراءة في كتاب :

تحفة ذخائر كنوز الأخيار

في بيان ما لعلَّه يحتاج إلى التوضيح من الأخبار

قراءة وعرض : عادل علي عبيد

صَدَرَ عن قسمِ شؤونِ المعارفِ الإسلاميَّةِ والإنسانيَّةِ في العتبةِ العبّاسيّةِ المقدّسةِ ، مركزِ تُراثِ البصرةِ الكتابُ الموسوم بـ (تحفةُ ذخائرِ كنوزِ الأخيارِ في بيانِ ما لعلَّه يحتاجُ إلى التوضيحِ من الأخبارِ)، تأليفُ مهذِّبِ الدِّينِ، أحمد بن عبد الرِّضا البصريّ (١٠٤٧ هـ - كان حيّاً ١٠٩٨هـ) تحقيقُ: الشيخ رافدُ الفتّال

والكتابُ – الذي يقعُ في خمسةِ أجزاءٍ من القطعِ الوزيريّ–، قدَّمه محقّقُه في (٧٩) صفحة استعرضَ من خلالها جهدَه الجهيد ، وعمَلَه المضني الأكيد ، في بيان أدوار الكمّ المعرفيّ المتراكم ، وأثره في جهود المؤلّفين والمحقّقين، الذين شمَّروا عن سواعد الجدِّ والاجتهاد ، وواصلوا الليل بالنهار ، ولم يعرفوا للراحة من معنى ، ولم يجد الكللُ والملُ اليهم سبيلا، بعدما نذروا أنفسهم للتعلُّم والتعليم والتأليف والتدوين ، وأوصلوا للأجيال اللاحقة ما قطفوه من ثمار العلم والعمل ،

فدانت البشرية لهم ، وعرفت قدرهم وجهودهم .

وهذا ما بيّنه المحقق الفتّال في رصده لتمايز الحضارات على مختلف ثقافاتها وتباين أدوارها وقناعاتها ، الأمر الذي يتناغم مع حجم وتنوّع وتوجّه الافكار والرؤى . وقد حصرَ ذلك من خلال الحضارة الاسلاميّة، التي أكّد أنّها من أكثر الحضارات اهتماما بالعلم والعلماء ، مستشهدا بالجهود الكبيرة التي اضطلع بها ثلّةٌ من هؤلاء العلماء الأعلام ، أمثال: الشيخ الصدوق والمفيد والطوسيّ ، والعلّامة الحلي والمجلسيّ ، والمحدِّث الحرّ العامليّ، وغيرهم من الأعلام .

ولد الشيخ الأجل الحافظ أحمد بن عبد الرضا المشتهر بمهذِّب الدِّين البصريّ في البصرة في العام ١٠٢٠ هـ على الأرجح وهناك ما يشير إلى عمره في رسالته الذوقية العربية، والشوقية العجمية :

يا نديمي ضاق في أمري الفضا
ضاع عمري في الملاهي وانقضى
فات عمري في مقاساة الرقيب
وارتداعي عن ملاقاة الحبيب
فالثلاث والثلاثون انقضت
ويح نفسي كل ذا ما استيقظت

وتنقَّل في البلاد حسبما أشارت كتبه ورسائله فمن مشهد خراسان إلى القرى التابعة لها وصولاً إلى (كابل) و(قندهار) و(شاه جيهان) و(حيدر آباد) يدل على ترحال وتطواف وسفر رافق حياته المزدحمة كأدبه وفكره .

وكذا يتحدَّث الكتاب عن اساتذته من أمثال: المحدِّث الكبير محمَّد بن الحسن بن الحر العاملي ، صاحب التصانيف الكبيرة التي تربو على ستين مؤلفا ورسالة ، مثل : (الصحيفة السجّادية) ، و(وسائل الشيعة) ، و(إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات) ، و(أمل الآمل) ، و(الجواهر السنية في الأحاديث القدسيّة) ، و(هداية الأمة) ، و(الفوائد الطوسيّة) .. فضلاً عن ديوانه المعروف ، أمّا عن موسوعيّته ، فيكفينا هذا الكم الكبير من المؤلفات والرَّسائل وتنوعها ، بما يجعلها عامرة موفورة معافاة بأمور العلم ، وفنون الأدب ، التي عرفت بحسن البيان، وجودة التأليف ، وجمال الخط ، وقوة الحافظة .

ولعلَّ ما زاد شخصيته جمالا وبهاء هو سيرته وأخلاقه السامية ، وما تمتَّع به من عبادة خالصة ، فلطالما كان انشغاله بائنا في العبادة والذكر، وأنَّ حسن أخلاقه وتصدِّيه للموعظة والنَّصيحة لغيره ، جعلَه مثارَ إشادةٍ واشارةٍ واضحتين .

أما تواضعه فحدث ولا حرج ، ويكفينا أن نقف على إحدى القطع التي ذكرها في واحدة من مؤلفاته ، والتي جاء فيها ما نصه : (إنَّ الفقيرَ الحقيرَ مقصرٌ في غير الدّعاء لجنابكم الخطير، علم الله السميع العليم أني لعلى ذلك مستقيم ، لكنّه بقدر الإمكان والخطورة ، وحق النبي المبرور ، وذلك في خلواتي ، وعقيب صلواتي ، وبعد الفراغ من الطعام ، وفي أثناء الدرس والكلام ، وفي الليل والنهار ، وفي العشي والإبكار ، وعند امتدادي على فراشي ، وبعد انتباهي وانتعاشي ، وعند تذكر نعمة ، وعند طلب رحمة ، ووقت نزول المطر ، ووقت تحقق السحر ، وفي أيام الجُمعات ، وعند استماع الخطبات ، وعند استماع الآذان ، وعند قراءة القرآن ، وهذه الأوقات يُقرن الدُّعاء عندها بالإجابة . نسأل الله التوفيق بجميع أسبابه) .

وقد شمل الكتاب موضوعاتٍ ومحاورَ وأبواباً وأخباراً انصبَّت على مضامير مختلفة ، شملت مبانٍ في الفقه ، والأصول ، والعقائد، والتاريخ الاسلاميّ ، والأحكام، الشرعيّة الأساسيّة ، والفرعية ، والكليّة ، والأدلّـة ، والاسـتـدلالات ، فضلاً عن التوضيحات والـشروح ، وبيان أثر التاريخ الإسلامي ، وما رافقه من ملابسات واحـداث وقضايا الخلق والخليقة ، والتعريف بالمسائل الفقهية والعبادية ، وتعزيزها بالفوائد واللطائف والنكت، والاحاديث ومسائل الاشكالات والخلاف ، وبيان وذكر الروايات والمرويّات ، والخطب والذخائر.

ولعلَّ ما يميِّز الكتاب هو مقدِّمة التحقيق التي أكَّدت على أدوار العلم ومنافعه ومؤثراته بعدما وصفته بحياة القلوب والنفوس ، وغذاء العقل والرّوح وبه ينمو العقل ويكبر، ويتطوّر ويثمر وكفاه فخراً ما ذكرهُ أميرُ المؤمنين (عليه السلام) لكميل (رضي الله عنه) في المفاضلة بين العلم والمال قوله : «يَا كُمَيْلُ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ. وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ، وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ.

يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ، مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ. وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ، وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ.

يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ، هَلَكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ: أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، أَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ » .

ويعدُّ الكتاب – الذي أعدَّه مركز تراث البصرة ، وطبع في مطابع دار الكفيل– من المطبوعات الاستثنائية التي تؤكِّد مكانة الجهود الشاخصة للمؤلِّف ، المعطوفة على عظمة هذا التراث العربيّ الإسلامي الهائل ، التي ستضيف إلى المكتبة الإسلامية – بأذن الله – منجزًا فريدًا في توجهاته وبيان ثقافته ، ورسالة واثقة؛ لما يتمتَّع به المؤلف من صبر ودراية، بيَّنتها الأبـواب والفصول التي جعلت من الكتاب سفرًا أو موسوعةً تُعِينُ الباحثَ والدارسَ على مشروعهِ ، وتفيد المحققَ المتابع في البحث والتحري ، وطالب العلم وما يجده من فيوضات ومظان تحتاجها المكتبة العربية .

جدير بالذكر أنَّ مركز تراث البصرة قد حرص – ضمن برنامجه الفكريّ– على متابعته ورعايته لمثل هذه المؤلفات والمشاريع الفكريّة ، أملاً منه بأن يترجم ويجسِّد رسالته في متابعة وتفصي وحصر كلّ المشاريع التي تصبّ في دائرة العلوم والمعارف البَصْريَّة ، والاسماء والرموز من البصريين الذين طار صيتهم وجال دورُهم في أصقاع المعمورة الممتد .

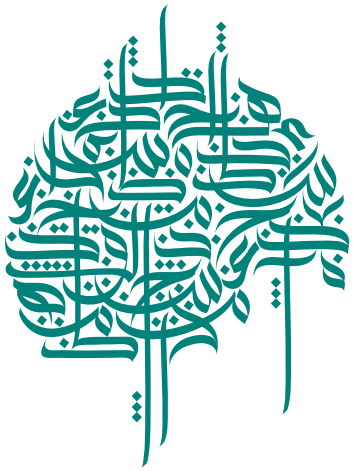

الشَّهيدُ السَّعيدُ:
أجود سامي خير الله الشّاوي

فاطمة المرهون

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ[1]﴾

لسانُ الآيةِ المباركةِ يتحدَّثُ عن الإنفاقِ في سبيلِ اللهِ، وممّا لا شكَّ فيهِ أنَّ الإنفاقَ يكونُ بأشكالٍ عديدةٍ فمنه بالمالِ، ومنه بالجاهِ، ومنه بالجهدِ الجسديِّ، وغيرِ ذلك، لكنَّ أعلى مراتبِ الجودِ، هو بذلُ النَّفسِ في سبيلِ اللهِ، فالجودُ بالنَّفسِ أقصَى غايةِ الجُودِ، وكما وردَ في الحديثِ عن رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم): «فَوْقَ كُلِّ ذِي بِرٍّ بَرٌّ، حَتَّى يُقْتَلَ الرَّجُلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِذَا قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَيْسَ فَوْقَهُ بِرٌّ»[2].

شهيدُنا (أجود) من مواليد قضاء المدينة عام (١٩٨٦م)، وكان له من اسمه نصيب؛ فعلى ما وصل إلينا من سيرته ،كانت السّمة البارزة له هي الجود والعطاء، فتارةً تلمح تلك الصفة في مساعدته للمحتاجين، وأخرى تلمحها في إقامته لموكبٍ حسينيٍّ، وغير ذلك، إلى أنْ انتهى به المطاف الى أن بذل مهجته في سبيل الله، وإنّها لتجارةٌ رابحة؛ فربُّنا قد اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ

لهم الجنّة...

كان الشّهيد يُحبُّ المساعدةَ لكلِّ مَن يعلم بأنَّه بحاجةٍ إليها، حتّى صارَ معروفاً بين أهلهِ ومن يخالطه بأنَّ ما يتوافر بيدهِ من المال ينفقُه أو أغلبه على الفقراء والمحتاجين، نَقَلَ لنا أحدُ أصدقائه أنّ (أجود) قبل فتوى الدفاع الكفائيّ، وعندما كانّ يستلم راتبه، كان يعمد إلى توزيعه على المحتاجين، وكذا يذهب إلى بائع الدَّجاج أو بائع اللحم فيعطيه مبلغاً من المال ويطلبُ منه أنْ يساعد به الفقراء، وينقل والد الشهيد أنّ (أجود) عندما التحق بعد الفتوى المباركة،كان ينفق ما يُصرف له من راتب ويفرّقه على مَن يراه محتاجاً من المقاتلين .

علاقةُ الشَّهيد بالقضيّة الحسينيّة

كان شهيدُنا مُحبّاً لأبي الأحرار(عليه السلام)، وكان يظهر محبَّته ببعض الأفعال، ومنها: أنّه عمد إلى إقامة موكبٍ في قضاء المدينة على طريق السّائرين مشياً في زيارة الأربعين، وأسمى موكبه باسم موكب السّيدة رقيّة بنت الحسين (عليها السلام)، ثم وّافقه عليه قرابتُه ومعارفه ليُشاركوا معه بما يملكون من مالٍ أو جهدٍ في هذا الموكب.

موقف العائلة من فتوى الدفاع الكفائيّ

ينقلُ والدُ الشهيد أنّه بالرغم من خوفهم على ولدهم، إلّا أنّهم لم يمنعوه من الدفاع عن وطنه وعقيدته؛ فالعائلة على قناعة بأنّه لولا دماء الشهداء وتضحياتهم، لما حُفِظَ أمن واستقرار العراق، فشجَّعَهُ والدُه على الجهاد.

المعارك التي خاضها

كان الشهيد يخوض المعارك الشرسة في جرف الصخر، والفلوجة، والصقلاويّة، وغيرها الكثير وكانت شهادته في الصقلاويّة.

مواقفه في الجهاد

نجد أنّ الشهداء في حياتهم قلَّما يهتمّون بملذّات الحياة، فإليكم هذا الشهيد (أجود)؛ فقد طَلَبَ منه أهلهُ أنْ يتزوّج ليفرحوا به عريساً، لكنَّه أبى قائلاً: لا أتزوّج، بل أقاتل وأستشهد في سبيل الله أو ينقضي الجهاد، لذا، فقد كان يقاتل قتالَ من باع الحياة ولم يرض إلّا بالشهادة .

* ينقل أصدقاءُ الشهيد إلى أهله أنَّ الشهيد (أجود) كان بطلاً في القتال، لا يتأخر في المعارك ، حتّى أنّ أحدهم أخبرَ والدَه ذات مّرة بأنَّ (أجود) سيكون شهيداً حتماً لمّا رأى منه الإقدام على القتال في المعارك.

- صديقُ(أجود): (عمّي، ترى إبنكم مو إلكم) (شتكَول).
-(والد الشهيد): (أكَول: فدوى) .
- صديقُ (أجود):(أشوفه يجي ويذبّ نفَسه بالمعركة، سبع، بطل، ما يتأخّر).

يعقِّب والـدُ الشهيد على هذا بقوله: إنّ الشهيد أجود كان (آمر سريّة) ، وكان هذا يتطلّب منه شجاعة كبيرة، وأن يكون في الصفوف الأولى في القتال؛ حتى يزيد من عزيمة الجنود فلا يتخاذلو.

* وممّا نُقِلَ أيضاً: يخبر أحد رفاقه بأنّ الشهيد كان خفيف النوم؛ ففي إحدى ليالي معركة جرف الصخر كنّا نائمين ولم نشعر إلّا وحدث إطلاق ناريّ من قبل أحدنا، فلمّا ذهبنا، وجدنا (أجود) يطلق النار بسلاح بي كي سي، سألناه: ما الأمر؟ قال: هناك جماعةٌ من الدواعش يتقدّمون باتّجاهنا، وفعلاً بعدها بقليل جاء إطلاق

النار من جهة العدو ردّاً على الإطلاق الأوّل، وحدثت المواجهة في ذلك الحين.

* نقلوا- أيضاً- لعائلة الشهيد: كنّا نقول لأجود إنّكّ آمرُ سريّة فلِمَ لا تكتفي بإعطاء الأوامر؟ فأجابهم: " أنا هنا خادمٌ لكم، فمنكم من أُلبْسه حذاءه، ومنكم من أغسلُ جورابه".

لقاؤه الأخير

كما هو معهود عند الشهداء، الإحساس بدنوّ الرحيل؛ فقد بدت على شهيدنا أجود علاماتُ التوديع، حتىّ لاحظ أهلُه ذلك، وعندما أراد الالتحاق، أخبرَ أباه بأنّه يظنُّ أنّ هذه المرَّة هي الأخيرة التي يراهم فيها، فكان جواب الوالد: (بويه روح، الله ومحمد وعلي وياك).

وهكذا في قلوب عوائل الشهداء أمنية، هي سلامة أحبّائهم حتىّ لا يفارقوا هذه الشخصيّات المعطاءة التي يقلُّ نظيرها في زمان يكثر فيه السعي وراء الكسب الماديّ لا الإنفاق.

ثمّ تسعفهم البصيرةُ لينظروا إلى ما أعدَّه الله لمن يقتلُ في سبيل الله، فتتحوّل أمانيُّ الوالد الحنون على فلذة كبده إلى أنْ يتشحّط الولدُ بدمه في سبيل الله فينال الكرامة؛ ليفتخر به في الدارين، ويرجو شفاعة الشهيد عند الله، فيكون سبباً لدخول أهله إلى الجنان، ونحن أيضاً نطمع أنْ يدخلَنا ربُّنا مع القوم الصالحين، نرجو شفاعة الشهداء، ولا نتكل في ذلك على عملٍ قدّمناه تجاه الشهداء أو عوائلهم، إلّا أنّنا نحبّ عمل الشهداء، ونعترف بأنّهم على هدى، وإنّهم مفلحون. أوَ ليس المرءُ يُحشرُ مع مَن يُحِب !

شهادته

نال الشهيد (أجـود) مـراده من السعادة في هجوم بمنطقة الصقلاويّة، فأصابته في رقبته شظايا عبوة ناسفة بتاريخ (٣/ ٦/ ٢٠١٦م)، والغريب -وليس هو بالغريب على الشهداء- أنّ الشهيد في حادثة استشهاده قد وجد مسجّىً كالنائم، فلمّا نقلوه للمستشفى، قيل لهم إنّه التحق بالرفيق الأعلى، ليُدفن بعدها بثيابه، واضعين له مسبحةً من التربة الحسينيّة في جيبه، ونال تشييعاً مهيباً لكرامة الشهيد عند الله ورسوله.

فسلامٌ عليكم يومَ وُلدتم ويومَ استشهدتّم ويومَ تُحشرون أحياء فرحين بما آتاكم الله من فضله.

(الهوامش)

١ سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

٢ الكافي، الكليني: ٢/ ٣٤٨.

التفاتة

ما مِنْ شكٍّ في أنّ الحاضرَ لا يقوى على الوقوف أو مواصلةِ خُطاه صوبَ الارتقاء ما لم يستندْ إلى الماضي ؛ فمن تجارب السلف تنبعثُ الأنوار ، فلا ظلامَ يغشى الأبصار، ولنْ يضلَّ دربَهُ المسار ، فما أحوجَنا ونحن على طريق البناءَ إلى تراثِ مَنْ أقامَ مجدَه على أساسٍ راسخ .

مع هذا، فليس كلُّ ما يُقدّمهُ التاريخ هو عين الحقيقة؛ لأنّ الطغاةَ الذين حكموا البلاد قد استأجروا الأقلام التي تعمل على تحقيق مآربهم وخدمة مصالحهم، فتجنّت على الحقائق، وشوهّتْ ما كان بمقدورها تشويهُهُ ، وطمسَتْ ما ارتأت ضرورةً في طمسهِ ممّا لا يتناسبُ ذكرهُ مع هوى الحاكم، حتّى صرنا نجد الظالمّ عادلاً، والجبانَ شجاعاً، والمارقَ مؤمناً، فانقلبت الموازين حتّى صار الدعيّ ابن الدعّي حاكماً على رقاب المسلمين ، وصار مَنْ لاصلةَ له بالإيمان يحملُ لقبَ أميرِ المؤمنين.

كلّ ذلك يُحتّم علينا – ونحن نقرأَ التاريخ– أن نكون حذرين ؛ إذ لا بُدّ من التدّبر والتعمّق والتحليل والتفكيك والكشف والاكتشاف، فلا نكتفى بما تحمله السطور، بل تجبُ قراءةُ البنى الكامنة بين السطور.

وإذا كان الأمر كذلك للتاريخ، فليس ببعيدٍ عنه تراثُنا البصريُّ لكونه جزءاً منه، وقد عصفت به –أيضاً – رياحُ التشويه والطمس والتحريف، الأمر الذي يُضاعف المسؤوليَّة على من يكتبُ فى هذا التراث، لكي يصلَ إلى الكنوز المغيبّةِ فيه، وعلى الدارسين الوقوفُ عند كلّ جانب منه ليتبيّنوا أين تكمنُ الحقيقة؟ ثَمَّ تُقدَّمُ للقارئ وقد انجلى عن وجهها الغبار.

إنّ في تراثنا البصريِّ مواقفَ عظيمةً لوكانت عند الأمم لأطالوا الوقوف عندها، من ذلك : المواقفُ البطوليّةُ للمرأة البصريّة في نصرة الإمام الحسين (عليه السلام).

لقد جعلت مارّيةُ العبدّيةُ البصرّيةُ دارَها مكاناً لاجتماع الشيعة لكي يتدارسوا موقفهم من نصرة الامام (عليه السلام)، في وقت كانت السلطةُ الأموّيةُ لا تتساهل

مع كلّ من تجدُ له موقفاً في النصرة؛ لأنّ مثل تلك المواقف تعدّ إعلاناً للثورة ضدّ الحاكم .

وفي الوقت نفسه، فانّ أشراف البصرة قد هبوّا وتأهّبوا وراحوا يخطّطون لنصرة إمامهم، وهناك أسماءٌ لامعة كثيرة لم ينُصفها التاريخ ببحث مفصَّل، مثلما جرى تفصيل القول في غيرهم، أمثال: يزيد بن مسعود النهشليّ، ولن تنسى البصرة بطلَها الهفهافُ بنُ المهَّند الراسبيُّ البصريُّ، الذي وصل إلى أرض المعركة وكان الحسين (عليه السلام) وأهل بيته قد نالوا الشهادة ، فانتضى سيفَه، وقاتلَ الطغاة قتال الأبطال حتّى استشهد (رضوان الله عليه)،

ولم يقف إسهام البصرة عند الميدان وإنّما كان لها النصرة في مجال الكلمة ؛ إذ نجد أنّ هناك شعراً رائعاً صوَّر البطولة النادرة التي تمّثلت في أصحاب الحسين (عليه السلام)، كما تعرّض للذلّ والعار الذي لحق ببني أميّةَ، ومن ذلك: ما قاله أبو الأسودُ الدؤلي :

يا ناعِيَ الدين الَّذي يَنعى التُقى ... قُــم فانعَه وَالبَيتَ ذا الأَستارِ
أَبَنِي عَلِيٍّ آلَ بَيتِ مُحَـــــــمَدٍ ... بِالــطَّفِّ تَقتُلــهُم جُفاةُ نِزارِ

ولا يسعنا في هذه إلّالتفاتة ألّا أن نوجّهَ دعوتَنا إلى الباحثين والدارسين – لاسّيما في جامعة البصرة – إلى العناية بتلك الأعلام التي ناصرت سفينةَ النجاة ، سبطَ الرسول؛ من أجل استقصاء أخبارها ودراسة أدبها دراسة مستفيضة، ولابأس أن يكون فيها عدد من رسائل الدراسات العليا؛ فتلك أسماء تستحقُّ الخلودَ، وهى نجومٌ لامعةٌ في تراثنا البصريّ الثرّ.

• مدير التحرير

صدر عن

مركز تراث البصرة